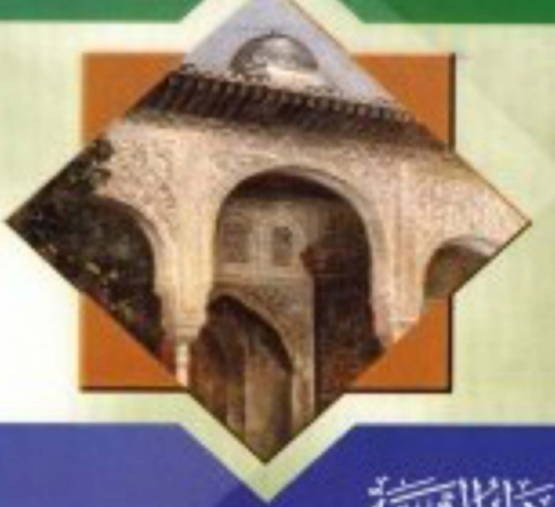


العاطفة الإيمانية

وأهميتها في الأعمال الإسلامية

الدكتور
محمد موسى الشريف



دار التربية
دار التزكية

العاطفة الإيمانية وأهميتها
في الأعمال الإسلامية

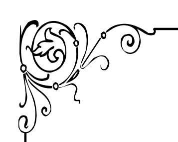
الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

العاطفة الإيمانية

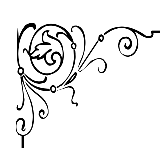
وأهميتها في الأعمال الإسلامية

الدكتور

محمد موسى الشريف



بسم الله الرحمن الرحيم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾

[الحديد: ١٦]



مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وصلاة وسلاماً على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن الصحوة المعاصرة صحوة مباركة إن شاء الله تعالى، قد آتت ثمارها: رجالاً عاملين مخلصين، باعوا آمالهم وأحلامهم ورغباتهم وشهواتهم في سبيل الله راضين مسرورين، ورجالاً آخرين يحاولون اللحاق بالأولين بين تعثر ونهوض، لكنهم في خير وإلى خير إن شاء الله تعالى.

وفي الصحوة المعاصرة أمراض تنهش جسدها قد تُحُدِّث عنها كثيراً وصنفت فيها مصنفات متعددة، والتُمس العلاج الشافي لها، لكن مرضاً من الأمراض الفتاكة لم يُؤت حقه من الحديث ـ في ظني ـ ولم يصنف فيه إلا القليل اليسير ألا وهو مرض اليُبس العاطفي وجفاف المشاعر العاطفية الإيمانية.

ومرادي من العاطفة الإيمانية ما يحمل على جميل التأثر، وحسن التجاوب، وقوة الانطلاق، وعظم التأثير الإيماني، فمن جُبل على هذا فيا حُسن ما جبل عليه، وليس المراد تلك العاطفة الهوجاء التي تعمي وتصم وتحمل صاحبها على التسرع وعدم التبصر في العواقب،

وإلى ارتكاب ما يندم عليه بعد ذلك أشد الندم، وإنما قلت هذا لأن الناس قد شاع فيهم أنه إذا قيل: ذا رجل عاطفيّ أو تلك امرأة عاطفية فإن المراد بالعاطفة هنا هو التسرع الذي ذكرت، والهوج وعدم النظر في العواقب الذي إليه أشرت.

والعاطفة الدينية القوية قد حفظ الله تعالى بها الإسلام وأهله قروناً طويلة؛ إذ بسببها يُعبد الله ويوحد، وبها يُحافظ على الشعائر والعبادات، ولأجلها يجاهد في سبيل الله تعالى ويقاتل، وهي إن عظمت في النفوس حملتها على التضحية بالغالي والنفيس، وإن تضاءلت وصغرت فإنها تحمل النفوس على الشح والبخل وإيثار الحياة الدنيا والإخلاد إلى الأرض.

ولما كان هذا العصر قد ارتدى رداء القسوة والشدة الناجمين عن أسلوب الحياة المعاصرة التي تسير فيها الأمور على وتيرة واحدة من المادية المغرقة التي ليس فيها للعواطف النفسية والرقائق الإيمانية كبيرُ نصيب، لما كان العصر كذلك فقد تأثر غالب أهله بهذه السِّمةِ فقست قلوبهم، واضمحلت عواطفهم النفسية والإيمانية، وضعفت على إثر هذه العبادات فأصبحت تؤدى بدون خشوع ولا خضوع، وقَلّ التأثر والبكاء، وأصبح من النادر في مجتمعاتنا أن نشاهد رجلاً ذا عاطفة إيمانية قوية جياشة، بكّاء رقيقاً.

ولما كان كل ذلك نذير سوء وعلامة شؤم حيث إنه يؤدي إلى البعد عن الله تعالى؛ أردت أن أكتب بحثاً في هذه المسألة المهمة، بحيث يفصح عن أسبابها ويؤدي إلى تفهمها ومن ثَم معالجتها.

هذا وليعلم أنه قد حدثني عدد من إخواني في هذه القضية وشكوا إليّ مرة بعد مرة منها، ولما كنت قد عانيت هذا من نفسي ومن غيري، فإني أظن أن هذا البحث فد ينفعني وينفع كل من يطلع عليه، والله الموفق.

المؤلف

محمد موسى الشريف

ص.ب ٤٢٣٤٠ جدة ٢١٥٤١

mm alshareef@yahoo.com

تمهيد

العواطف الإيمانية وقود العبادات، فإن عظمت في النفوس ارتقت العبادات، والعواطف كذلك أساس الأخلاق الحميدة كسلامة الصدر، وقوة اليقين، والإخلاص، والرقة، ومراعاة الآخرين. . .إلخ.

والأمة اليوم قد ابتليت ـ فيما ابتليت به ـ بضعف شامل في هذه العواطف الإيمانية، وأصاب هذا الضعف الطوائف الصالحة من الأمة والتي عليها المعوّل في الإصلاح والتغيير، فأصبح المرء يرى أشخاصاً يعملون لكنهم لا يملكون من العاطفة الإيمانية ما يؤثر في المقابل أو حتى يؤثر فيهم أنفسهم، فصاروا يعملون كقوالب جامدة لا تكاد تدب فيها الروح، وأصبحت دعوتهم وعباداتهم أشبه بوظيفة رسمية منها بشعائر إيمانية تؤدى رغبة ورهبة، وتنعكس على المرء صفاءً وجلالاً، ورقةً وكمالاً، فقست قلوبهم وتحجرت مآقيهم، وانعكس ذلك كله على حالهم وتأثيرهم فأصبحوا غير مؤثرين فيمن يدعونهم إلا قليلاً، ومثل هؤلاء بعيدون كل البعد عن الإصلاح الحقيقي المطلوب.

وليس أمام المربين والدعاة سبيل للنجاح والنصر إلا بناء هذه العاطفة الإيمانية القوية في النفوس، وتربيتها على كثرة الذكر والخشوع والانكسار والخضوع بين يدي الله تبارك وتعالى، والاهتمام الشديد

بأحوال المسلمين، والتعاضد والتناصر والإخاء، هذا عَقد لا مفر منه، وعِقد جميل لابد من التحلي به، وينتج عن هذا عاطفة إيمانية آسرة لا يقوم لها شيء، ويتأثر بها كل من رآها وخالطها أحسن التأثر وأجمله وأفضله.

أما إذا اضمحلت هذه العاطفة فسيسود بين المؤمنين البرود والجمود؛ فلا يكاد يلتفت بعضهم إلى بعض، ولا يكادون يتآخون ويتناصرون ويتعاضدون، ويقع بينهم الكلام موقع العمل، والدنايا والسفاسف موقع المعالي والرفعة، والهمة الساقطة موقع الأخذ بالعزيمة والفوز بالغنيمة.

هذا بذاك، أمر لا مفر منه، وقضاء حتم لا راد له، بهذا حكم الله تعالى، وبه جرت السنة الكونية، والناظر لأحوال الأمة يعلم هذا علم اليقين، فما نزلت بالأمة الكوارث والمصائب وما حلت بساحتها النكبات والهزائم إلا عندما ضعف إيمانهم وقل يقينهم، وبردت عاطفتهم، وأخلدوا إلى الأرض، وانقطعت منهم الأشواق إلى السماء، وارتضوا الدنايا وراضوها، واستبعدوا معالي الأمور وحاربوها، فإن أردنا ـ معشر الدعاة وطلبة العلم ـ إرجاع الناس إلى ما كانوا عليه في ماضيهم السعيد ومجدهم التليد فليس لنا من سبيل إلا الارتفاع بإيمانهم وتقوية يقينهم، وإشعال عواطفهم الإيمانية، سبيل واحد ليس له ثانٍ، وطريق فرد لابد من سلوكه، والشواهد على هذا أعظم من أن تُحصر.

وليس المراد من هذا المبحث ذكرَ الرقائق، فقد تكفلت بها كتب كثيرة جداً في القديم والحديث، وليس المراد ـ أيضاً ـ التوسع في ذكر

مظاهر الهُزال الروحي والضعف الإيمانيّ وكيفية العلاج التفصيلي لهذه القضية إنما سنذكر ذلك مبحثاً جانبياً في هذه الرسالة، لكن المطلوب المهم ـ هنا ـ هو التركيز على مظهر واحد من مظاهر هزال الروح، وجانب واحد من جوانب الضعف في باب الشخصية الإيمانية ألا وهو خمود العاطفة الإيمانية القوية أو ضعفها للحد الذي يبدو معه الشخص غير متأثر بشيء ولا مندفعاً إلى مكرمة، هذا هو الذي أريد الحديث بالتفصيل عنه، وذلك لسببين:

١ ـ نحن في عصر قضاياه الفكرية والإيمانية متشابكة معقدة، وأمراضه السلوكية كثيرة متعددة، وقد لا يصح أن توضع القضايا الكلية والأمراض السلوكية كلها في موضع علاج في رسالة واحدة، فأمر الرقائق وشأنها ـ مثلاً ـ أعظم من أن يحاط به في موضع واحد، فإفراد البعض بالحديث قد يكون له فائدة راجحة ظاهرة؛ إذ كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً.

٢ ـ إن العاطفة الإيمانية والحديث عنها ـ قوة وضعفاً و أسباب علاج ـ قد يكون الجانبَ المحتاج إلى إظهار وبيان ومزيد إبراز؛ إذ تكفلت كتب كثيرة جداً بالحديث عن الرقائق، لكن نزراً يسيراً منها قد تحدث عن العاطفة الإيمانية، فلذلك أردت إفرادها بالتصنيف والبيان، والله أعلم.

تعريف العاطفة

العاطفة لغة:

العطف: الإشفاق والميل والحنو، ومعاني العطف تصريفاتها لا ترتبط ارتباطاً قوياً بما هو سائد اليوم عند الناس من معنى العاطفة، ولكن لها بها تعلق لغوي لا يخفى.

والعاطفة اصطلاحاً:

«شعور أليم أو سارّ، ثابت مستقر في أعماق النفس حول شيء معين، كلما رأته العين أو سمعت به الأذن أو خطر على البال صاحبه ذلك الشعور السارّ أو المؤلم»(١).

ولا ريب أن هذا التعريف يتناول أصل العاطفة، لا تفصيل القول فيها من حيث كونها كسبية أو وهبية، أو العلاقة بينهما، وكذلك لا يتناول تحليل أصل الوضع اللغويّ وعلاقته بالاصطلاحيّ.

وقيل هي: «كل ما يعطف بالمرء ويميله إلى عمل فيه بلُغة لما تنزع إليه نفسه كعاطفة الغضب والكرم وغير ذلك»(٢).

---

(١) مجلة الأزهر: المجلد ٢٠، الجزء الرابع: ص٣٧٢.

(٢) معجم متن اللغة: ع ط ف.

وهي ذات أثر بالغ في حياة المرء، وقد تتحكم فيه بالكلية ما لم يضبطها، لهذا قال الأستاذ الشاعر أحمد الزين[1]:

إن لـلـعـاطـفـات حـكـمـاً قـويـاً ... ظـلـمـه عـاصـف بـكـل قـويِّ

كـم أذلـت جـبـار قـوم وغـلّـت ... مـن طـلـيـق وأَسْـلَـتْ مـن أبـيِّ

كـم تـولـى جـهـادَهـا فـي قـديـم الـدهـ ... ـر نـصـحٌ لـعـالـم ونـبـيِّ

جـاهـداهـا بـالـعـقـل حـيـنـاً وحـيـنـاً ... سـخّـرا بـعـضـهـا لـقـتـل الـبـغـيِّ

وهـي تـقـوى مـع الـجـهـاد فـويـل ... لـلـورى مـن جـهـادهـا الأبـديِّ[2]



(١) شاعر مصريّ، كفيف البصر، كف بصره منذ صغره. ولد سنة ١٣١٨هـ. كان يقال له: «الراوية» لكثرة ما يحفظ. تعلم في الأزهر واشتغل محامياً شرعياً، ثم عمل في دار الكتب المصرية موظفاً نحو عشرين سنة. أملى مقالات أدبية لمجلتي الرسالة والثقافة، وله كتابان مطبوعان فيهما نماذج من شعره. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٦٦هـ. انظر الأعلام: ١/ ١٢٩.

(٢) مجلة «الرسالة»: العدد ١٩٨، صفر سنة ١٣٥٦هـ، السنة الخامسة: ص ٦٧٠.

أهمية العاطفة الإيمانية وأثرها في الحياة

إن للعاطفة القوية الدافقة آثاراً متعددة منها:

١ ـ حسن التأثير:

صاحب العاطفة الإيمانية القوية شخص مؤثر بلا ريب، يجتمع الناس حوله وينبسطون له ويرتاحون إليه، وهل يريد الداعية لنفسه شيئاً من الناس إلا هذا؛ إذ هو مفتاح الاستجابة، يقول الأستاذ عبد الله علوان[١] رحمه الله تعالى واصفاً ذلك الصنف:

«إذا خطب أو تحدث أو دعا إلى الله رأيت الإيمان يبرق من خلال عينه، والإخلاص يشرق من تقاسيم وجهه، والصدق يتدفق من حنان صوته، وخشوع لهجته، وإشارة يده، بل كلامه يسري في القلوب، ويبدد ظلام النفوس، كما يسري الماء القَراح[٢] البارد في النفوس العَطْشى، وكما يبدد النور الساطع موجات الظلام، أولئك الذين

(١) هو عبد الله ناصح بن سعيد علوان، عالم داعية، ولد بحلب سنة ١٣٤٦ وتعلم فيها، ودرس بالأزهر وتخرج في كلية أصول الدين به. عين مدرساً في ثانويات حلب ثم مدرساً بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، ونال الدكتوراه من جامعة السند بالباكستان. توفي رحمه الله تعالى بجدة سنة ١٤٠٨هـ، دفن بمكة المكرمة، له عدة مصنفات. انظر «ذيل الأعلام»: ١٣٤.

(٢) هو الماء الذي لم يختلط بثُفل ولا بغيره. انظر «لسان العرب»: قرح.

هداهم الله فبهداهم يهتدي الخلق، وبدعوتهم يستجيب الناس، وبموعظتهم تخفق القلوب، وتذرف العيون، وبتذكيرهم يتوب العاصي ويهتدي الضال»[١].

وقال أيضاً موضحاً نتيجة تنمية العواطف الإيمانية وأثرها على الشخص:

«في وجهك إشراق، وفي سَمْتِك جلال، وفي ملامحك جاذبية، وفي وعظك تأثير، وفي فعلك قدوة، وفي معاملتك استقامة، وفي مواقفك نبل، وفي حديثك اتزان، وفي سلوكك خلق»[٢].

٢ ـ التوفيق والنصر:

إن الله تبارك وتعالى يهب أصحاب العواطف الإيمانية الصادقة القوية النصر والتوفيق والتمكين ـ إلا أن تشاء حكمته شيئاً آخر ـ.

ويقول الأستاذ الراشد مبيناً تقصير الدعاة وطلبة العلم في هذه المسألة المهمة:

«كأن النصر حجب عنا لأننا نادينا من وراء الحجرات، وجهرنا رافعين أصواتنا نوجب على الله لنا النصر بإدلال، نبيعه ونثبت لنا حقاً عاجلاً في الثمن من دون أن نقدم بين يدي بيعنا همساً في الأسحار، ولا الدمع المدرار، إنما النصر هبة محضة يقر الله بها عين من شاء من رجال مدرسة الليل في الحياة الدنيا . . .

قال ابن القيم[٣]:

(١) «روحانية الداعية»: ٩٤.

(٢) «روحانية الداعية»: ١١٦.

(٣) الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرَعيّ الدمشقي، شمس الدين ابن قيم =

يـحـيـون لـيـلـهـم بـطـاعـة ربـهـم
بـتـلاوة وتـضـرع وسـؤال
وعـيـونـهـم تـجـري بـفـيـض دمـوعـهـم
مـثـل انـهـمـار الـوابـل الـهـطـال
فـي الـلـيـل رهـبـان وعـنـد جـهـادهـم
لـعـدوهـم مـن أشـجـع الأبـطـال
بـوجـوهـهـم أثـر الـسـجـود لـربـهـم
وبـهـا أشـعـة نـوره الـمـتـلالـي»[١]

وليس كمثل العاطفة سلاح فعال يتسلح به العبد لمواجهة الهجمة الشرسة التي تحيط به من كل الجوانب، وهذا أحد الدعاة يتحدث عن أهمية العاطفة الإيمانية وأثرها في النفس وأنها سلاح فتاك لا يملك الأعداء أمامه إلا الخضوع والرضوخ، فيقول عن هذه الأسلحة:

«أسلحة فعالة لا يملك العدو لها ضداً نوعياً يبطل مفعولها، لذلك يقف ـ رغم كل ما يملكه من سلاح وأسباب تدمير ـ مذهولاً عاجزاً عن مواجهة من يمتلك سلاح الإيمان بالله والثقة بنصره، والإصرار على مواصلة دربه والتوسل إلى الله والتذلل بين يديه والتضرع له في الخلوات، المفضي بانفجار المآقي بدموع الشوق والرغبة إليه ومناجاته في جوف

= الجوزية الحنبلي. ولد سنة ٦٩١. كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف. وكان كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق، كثير التودد. توفي سنة ٧٥١ بدمشق، وكانت جنازته حافلة رحمه الله تعالى. انظر «الدرر الكامنة»: ٤/ ٢٣٢١.

(١) «الرقائق»: ٣٣، ٣٥.

الليل استدراراً لرحمته، واستمطاراً لمُزن رضاه[١]، فقد تجف الأرواح في ميادين الصراع وسُوح[٢] الجدل الفكري والسياسي والمساجلات الإعلامية فينسى المؤمن ما لديه من أسلحة النصر، وقد يغفل أن الدعاء سلاحه ووسيلته مع واهب الوجود، وأن دموع السر تطفئ غضب الرب، وتلطف شغاف القلب، وأن التلقين الواعي للنفس بحب الله والقرب منه والتزلف إليه محطات للتزود بالوقود الروحيّ لدفع «ماكينة» العمل الإسلامي إلى الأمام بخطوات متسارعة تتلاشى معها الألقاب، وتتضاءل لديها الصعاب. . ومن لا يحصن نفسه بالخشوع، ويسقي أشجار محبة الله بالدموع فليس أمامه إلا النكوص والرجوع، والجفاف والركوع أمام أصنام الذات وأوثان الحياة، وتلك هي الطامة الكبرى التي ما فوقها طامة، والكبوة المهلكة التي لا تنفع معها طقوس عبادة جامدة، ولا شكليات صلاة هامدة لا حياة فيها ولا حركة ولا روح. . .

ذلك أن الجفاف الروحيّ، والجدب المعنويّ، واليبس العاطفي أخطر آفات العمل الإسلاميّ، التي لو تعرضت لها روح الإسلامي العامل لأفقدته أهم أقوى الجذب والمغناطيسية والاستقطاب في أمة تطالب الإسلاميين أن يشيعوا في أوساطها الصفاء والنقاء، والتوكل، والتعبد والدعاء. . . »[٣].

٣ ـ إنجاز الأعمال:

إن صاحب العاطفة القوية يندفع لإنجاز الأعمال التي يريدها أو

---

(١) أي سحب رضاه، وهو تعبير مجازي.

(٢) أي الساحات.

(٣) من مقال «وعي العبد الغيبي ودوره في حياة العاملين»: منشور بمجلة المجتمع، عدد ١٣٧٩ : رمضان سنة ١٤٢٠هـ.

توكل إليه اندفاعاً محموداً، بعكس صاحب العاطفة الخامدة الذي لا يكاد ينجز شيئاً.

وقال الأستاذ المودوديّ(١) رحمه الله تعالى مبيناً أهمية العاطفة الإيمانية الدافقة وأثرها في إنجاز الأعمال:

«إنه من الواجب أن تكون في قلوبكم نار متقدة تكون في ضرامها على الأقل مثل النار التي تتقد في قلب أحدكم عندما يجد ابناً له مريضاً ولا تدعه حتى تجره إلى الطبيب، أو عندما لا يجد في البيت شيئاً يسد به رَمَق حياة أولاده ولا تزال تقلقه و تضطره إلى بذل الجهد والسعي.

إنه من الواجب أن تكون في صدوركم عاطفة صادقة تشغلكم في كل حين من أحيانكم بالسعي في سبيل غايتكم، وتعمر قلوبكم بالطمأنينة وتكسب لعقولكم الإخلاص والتجرد والحنيفية، وتركز عليها جهودكم وأفكاركم بحيث إن شؤونكم الشخصية وقضاياكم العائلية إذا استرعت اهتمامكم فلا تلتفتون إليها إلا مكرهين.

وعليكم بالسعي ألا تنفقوا لمصالحكم وشؤونكم الشخصية إلا أقل ما يمكن من أوقاتكم وجهودكم فتكون معظمها منصرمة لما اتخذتم لأنفسكم من الغاية في الحياة، وهذه العاطفة ما لم تكن راسخة في

---

(١) أبو الأعلى ابن السيد أحمد حسين، مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان. ولد في أورنك باد جنوبي الهند سنة ١٣٢٢هـ. عمل في الصحافة في عدة مناصب، وأصدر مجلة ترجمان القرآن فكانت وسيلة من أعظم الوسائل في مواجهة التحدي الهندوسيّ، ثم أسس الجماعة الإسلامية، وقد تآمرت عليه الحكومة وأمرت بإعدامه لكنها خلت سبيله بعد ذلك. نال جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام سنة ١٣٩٩هـ، وهي السنة التي توفي فيها رحمه الله تعالى. له عدة مصنفات نافعة. انظر «ذيل الأعلام»: ٣٩ ـ ٤٠.

أذهانكم، ملتحمة مع أرواحكم ودمائكم، آخذة عليكم ألبابكم وأفكاركم فإنكم لا تقدرون أن تحركوا ساكناً بمجرد أقوالكم.

اسمحوا لي أن أقول لكم: إذا خطوتم على طريق هذه الدعوة بعاطفة أبرد من تلك العاطفة القلبية التي تجدونها في قلوبكم نحو أزواجكم وأبنائكم وآبائكم وأمهاتكم فإنكم لا بد أن تبوؤا بالفشل الذريع، بفشل لا تتجرأ بعده أجيالنا القادمة على أن تتفكر في القيام بحركة مثل هذه إلى مدة غير وجيزة من الزمان، عليكم أن تستعرضوا قوتكم القلبية و الأخلاقية قبل أن تهموا بالخطوات الكبيرة»[1].

وقال الأستاذ محمد الخَضِر حسين[2]:

«وإن شئتم أن تزدادوا خبرة بأثر العاطفة من الإقدام على العمل الصالح بقوة، فانظروا إلى رجلين اتحدا في مقدار ما تلقياه من العلوم الدينية، وأحدهما متقد حماسة، مجد في الدعوة إلى سبيل الله، متفان في الذود عن حياض الشريعة، والآخر منهما خِلْوٌ من هذه الحماسة، فلا يؤلمه أن يرى حرمة الدين منتهكة، وكلمته غير نافذة، ونفوس الناشئين عنه منصرفة، ذلك أن الأول متفقه في الدين، وتربّت له مع هذا التفقه عاطفة نحوه، أما الآخر فتلقّى علوم الدين، وإنما صارت

---

(١) «تذكرة دعاة الإسلام» نقلاً عن «الرقائق»: ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) محمد الخضر بن الحسين بن علي الحسيني التونسيّ. عالم أديب باحث، ولد سنة ١٢٩٣ في نفطة من تونس، ودرس بجامع الزيتونة ودرس فيه. وولي قضاء بنزرت، وأنشأ مجلة السعادة العظمى، ورحل إلى دمشق فإستانبول ثم رجع إلى بلاده ثم استقر في دمشق مدرساً، ثم لما احتل الفرنسيون سورية انتقل إلى القاهرة ونال الشهادة العالمية من الأزهر، ورأس تحرير مجلة «نور الإسلام» ثم عين في هيئة كبار العلماء وتولى مشيخة الأزهر. له عدة مصنفات، توفي في القاهرة سنة ١٣٧٧. انظر «الأعلام»: ٦/ ١١٣ ـ ١١٤.

لمسائله صور قائمة في ذهنه دون أن تكون بجانبها عاطفة.

والعلماء الذين كانوا يواجهون ذوي السلطان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يبالون ما يلاقونه في سبيل الدعوة من أذى مثل سعيد بن المسيب(١) وعز الدين بن عبد السلام(٢) ومنذر بن سعيد البلوطي(٣)، و إنما امتازوا عن غيرهم من أهل العلم بشدة العاطفة الإيمانية المتدفقة غيرة وحماساً»(٤).

وكلام الأستاذ رحمه الله تعالى صالح للتنزيل على أشخاص كثيرين من الصالحين علموا علوماً كثيرة لكنهم يفتقدون العاطفة الإيمانية القوية لتطبيق ما علموه، وجعله واقعاً في حياة الناس.

٤ ـ إحسان أداء العبادات:

وهذا مقصد عظيم وهدف كبير، فإن إحسان أداء العبادات طريق

---

(١) سعيد بن المسيِّب بن حَزْن القرشي المخزوميّ، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار. قال ابن المدينيّ: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه. مات بعد سنة تسعين وقد ناهز الثمانين. انظر «التقريب»: ٢٤١.

(٢) عبد العزيز بن عبد السلام ابن أبي القاسم السُّلميّ. شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام، وسلطان العلماء. ولد سنة ٥٧٧، وتفقه وقرأ الأصول وسمع الحديث، وانتقل من الشام إلى مصر، وكان له في البلدين مواقف مشهورة مشهودة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت له اليد البيضاء في وقعة التتار أيام عين جالوت. وله عدد من المصنفات النافعة. توفي رحمه الله تعالى بمصر سنة ٦٦٠ ودفن بالقرافة الكبرى رحمه الله تعالى. انظر «طبقات الشافعية الكبرى»: ٨/ ٢٠٩ ـ ٢٥٥.

(٣) البلوطيّ، أبو الحكم الأندلسي، قاضي المالكية بقرطبة. كان فقيهاً محققاً وخطيباً بليغاً مفوهاً مع الدين والورع، وكثرة الصيام والتهجد والصدع بالحقِّ، لا تأخذه في الله لومة لائم. توفي سنة خمس وخمسين وثلاثمئة رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٦/ ١٧٣ ـ ١٧٨.

(٤) مجلة «الهداية الإسلامية»: الجزءان الثالث والرابع من المجلد ١٤: ص١٥٤ ـ ١٥٥.

إلى أعلى الجنان وممرٌّ إلى رضوان الرحيم الرحمن جل جلاله، ودلالة على حسن الصلة بالله تعالى، أما إذا خمدت العاطفة فإنه تكون للعبادات صورة باهتة، وقد قصَّ أحد الأفاضل مشهداً شهده في المسجد الحرام فقال:

«إن أنسَ لا أنسى مشهداً رأيته في مكة، وكان قد اجتمع فيها جماعة من الفضلاء للرد على الموغلين في التصوف، رأيت أحدهم يصلي الفجر وهو محرم وقد وقف في الصلاة وقفة يستحي أن يقفها أحد أمام زملائه: يده تحت سرته، وقد مال على جنبه متكئاً على إحدى رجليه مريحاً على الأخرى، ورقبته مائلة و رأسه مشخصاً به إلى علوٍّ وعيناه تجولان، وفي عشية ذلك اليوم رأيت ذلك الرجل المنتقَد في اعتقاده وهو يصلي في هيئة من الخشوع و الخضوع و التذلل والانكسار الظاهر ما تمنيت معه أن يكون صفاء ذاك في خشوع هذا»[1].

وأقول: هكذا يفتن الناس عندما يرون المفتون خاشعاً، والسليم لاهياً، فعند ذلك تختلط المفاهيم وترتبك الأفكار والعقول، لكن العاقل لا يتأثر بما شاهد، وإنما يُعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال، وليست هذه ظاهرة ولله الحمد، إنما هذا مثل سقته حتى يعرف الناس أهمية الخشوع والخضوع والانكسار، والوقوف بين يدي العظيم الجبّار وِقفةَ العبد المضطر لا وِقفة اللاهي الممتن، وسبيل ذلك قوة العاطفة الإيمانية التي تؤدي إلى الخشوع والخضوع، والله أعلم.

(١) «زغل الدعاة»: ١١٤.

أقوال بعض المعاصرين في أهمية إبراز العاطفة الإيمانية القوية

قد كان لبعض المعاصرين كلام حسن في إبراز أهمية العاطفة الإيمانية القوية، وأثرها على شخصية المسلم فمن ذلك:

١ ـ قول الأستاذ أبي الحسن النَّدويّ[١] رحمه الله تعالى تحت عنوان:

عنصر الهيام والحنان في طبيعة الإنسان أثرهما في الحياة ومرتبتهما من الدين:

«إن الإنسانَ ليس عقلاً مجرداً، ولا كائناً جامداً يخضع لقانون أو إرادة قاسرة، ولا جهازاً حديدياً يتحرك ويسير تحت قانون معلوم، أو على خط مرسوم، إن الإنسان عقلٌ وقلب، وإيمان وعاطفة، وطاعة وخضوع، وهيام وولع، وحبٌّ وحنان، وفي ذلك سر عظمته وشرفه وكرامته، وفي ذلك سر قوته وعبقريته وإبداعه، وسر تفانيه وتضحيته،

---

(١) هو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الحي الحسنيّ الهنديّ النَّدويّ ـ نسبة إلى ندوة العلماء بلكنو ـ عالم مفكر، أحسن المدافعة عن حقوق المسلمين بالهند، وله في ذلك مواقف مشهودة. له العديد من المصنفات التي حاز بعضها المدح المعلن مثل «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين». نال جائزة الملك فيصل العالمية. توفي سنة ١٤٢١ رحمه الله تعالى.

وبذلك استطاع أن يتغلب على كل معضلة ومشكلة، وأن يصنع العجائب والخوارق، واستحق أن يحمل أمانة الله التي اعتذرت عنها السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها وحملها الإنسان،ووصل إلى ما لم يصل إليه ملك مقرب، ولا حيوان ولا نبات ولا جماد.

إن صلة هذا الإنسان بربه ليست صلة قانونية عقلية فحسب، يقوم بواجباته، ويدفع ضرائبه، ويخضع أمامه، ويطيع أوامره وأحكامه، إنما هي صلة حب وعاطفة كذلك، صلة لابد أن يرافقها ويقترن بها ويتحكم فيها حنان وشوق، وهيام ولوعة، وتفان وتهالك، والدين لا يمنع من ذلك، بل يدعو إليه ويغذيه ويقويه، فتارة يقول القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(١).

وتارة يقول: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٢).

ويذكر أنبياءه ورسله وينوّه بحبهم وحنانهم، ويتحدث عن أشواقهم وتفانيهم في هذا الحب، فيقول عن يحيى عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾(٣).

---

(١) البقرة: ١٦٥.

(٢) التوبة: ٢٤

(٣) مريم: ١٢، ١٣.

ويحكي قصة خليله إبراهيم كيف آثر حب الله وطاعته على حب ولده، وفلذة كبده، وكيف وضع السكين على حلقومه، وحاول ذبحه حتى شهد ربُّه بصدقه وحسن بلائه، وقال: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾[1].

ولذلك قال في وصف إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾[2]»[3].

٢ ـ وقال إقبال[4] رحمه الله تعالى:

«يا وارث التوحيد الإسلامي! لقد فقدت الكلام الجذّاب الساحر، والعمل المسخر القاهر، لقد كنت يوماً من الأيام إذا نظرت إلى أحد ارتعد فَرَقاً منك وطار قلبه شعاعاً، وأصبحت اليوم كسائر الناس لا تحمل روحاً ولا تجذب نفوساً... لقد فقد المسلمون سَوْرَةَ[5] الحب الصادق، ونزف منهم دم الحياة، أصبحوا هيكلاً من عظام لا روح فيه ولا دم، الصفوف زائفة، والقلوب مضطربة، والسجدة لا لذة فيها، ذلك أن القلب خالٍ من الحنان»[6].

---

(١) الصافات: ١٠٤ ـ ١٠٦.

(٢) هود: ٧٥.

(٣) «الأركان الأربعة»: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٤) الدكتور محمد إقبال. ولد في سيالكوت ـ من البنجاب ـ سنة ١٨٧٧، وقد أسلم جده الأعلى من قبل مئتي سنة، وكان من براهمة كشمير. وتعلم في مدارس بلده الإنجليزية وغيرها، وسافر إلى لندن وحصل فيها على «الماجستير»، وحصل على الدكتوراه من ميونخ، وعاد إلى الهند سنة ١٩٠٨م، وكان شاعراً مجيداً باللغتين الفارسية والأردية، وله عدة دواوين ترجم بعضها إلى العربية وغيرها من اللغات العالمية. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٩٣٨م. من ترجمة الأستاذ الندوي له في مقدمة كتابه «روائع إقبال».

(٥) شدة.

(٦) « روائع إقبال »: ١٢٨ ـ ١٢٩.

وقال موضحاً أهمية العاطفة القوية:

«لابد أن يعيش العقل والعلم والقلب في حضانة الحب وإشرافه وتوجيهه، ولا بد أن تسند الدينَ وتغذيه عاطفة قوية وحب منبعه قلب المؤمن الحنون، فإذا تجرد الدين عن العاطفة والحب أصبح مجموعة من طقوس وأوضاع وأحكام لا حياة فيها ولا روح، ولا حماسة فيها ولا قوة. . . ».

وقال أيضاً:

«إن العالم الدينيّ لا يحمل هماً، إن عينه بصيرة ولكنها جافة لا تدمع، لقد زهدت في صحبته لأنه عِلْم ولا هم، وأرض مقدسة ولا زمزم».

وقد فسر قوله هذا الشيخ أبو الحسن الندوي حيث قال:

«لقد شبهه[١] محمد إقبال بالحجاز لأنه يحمل علماً كثيراً وعقلاً كبيراً، ولكنه مع الأسف رمال جافة وجبال جرداء ليس فيها زمزم، ومكة ببيتها وزمزمها وليست برمالها وبطحائها وجبالها فحسب، فما أفقر العالِم الدينيّ الذي يحمل علماً جماً ولساناً بليغاً وعقلاً مستنيراً ولا يحمل دمعة في عينه ولا لوعة في قلبه، إنه أخذ من الأرض المقدسة خشونتها وصلابتها ولم يأخذ منها رطوبتها ونداها»[٢].

٣ ـ يقول الأستاذ سعيد حَوّى[٣] رحمه الله تعالى:

(١) أي: شبه إقبال العالِم.

(٢) «روائع إقبال»: ٢٠٩ ـ ٢١٠، وليُعلم أن إقبال قد عمم هنا والمقصود طائفة محددة فقط ممن قست قلوبهم وجفّت أعينهم.

(٣) سعيد بن محمد ديب حوّى، أبو محمد عالم مجاهد، ولد سنة ١٣٥٤ بحماة في =

«نحن في عصر ماديّ ويقتضي منا أن نقابله بفكر مكافئ وبحيوية روحية عالية، ونحن في عصر شهوانيّ جاهليّ، وهذا يقتضي منا أن نقابله بأشواق روحية راقية»(١).

ويقول أيضاً:

«إن عصرنا عصر الشهوة، وعصر النزوة، وعصر المادية، ولابد أن نقابل هذه الأشياء فيه بما يكافئها ويقابلها... فالشهوة لا يحل مشكلتها المقال وحده... بل لابد من البيئة والتربية، والمادية لا يكافئها الكلمة وحدها بل لابد من الشعور والذوق والإحساسات الإيمانية مع المقال، والتمرد لا يعالج بالكلمة وحدها بل يعالج بالإخبات لله والتقوى والورع والأدب»(٢).

٤ ـ وقال الشيخ الغزاليّ(٣) رحمه الله تعالى:

«مع قيام الإسلام على العقل، وترحابه بالفكر الجيد والبحث

= سورية وتعلم فيها وفي كلية الشريعة بجامعة دمشق. والتحق بجماعة الإخوان المسلمين. حكم عليه بالإعدام ثم عفي عنه. وارتحل إلى العراق والسعودية. ثم عاد إلى دمشق فسجن خمس سنوات، ثم خرج من السجن إلى الأردن. أصيب بشلل جزئي فلزم بيته حتى مات سنة ١٤٠٦ رحمه الله تعالى. له عدة مصنفات. انظر «ذيل الأعلام»: ٩٣ ـ ٩٤.

(١) «تربيتنا الروحية»: ١٠.

(٢) «تربيتنا الروحية»: ١٧.

(٣) محمد الغزالي بن أحمد السقا. من أكبر مفكري الإسلام ودعاته. ولد سنة ١٣٣٥ بقرية في مصر، واشتهر بالغزاليّ لأن والده رأى الإمام الغزاليّ في المنام فأخبره أنه سيرزق بمولود وأشار عليه أن يسميه الغزالي. تعلم بالأزهر. وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، واعتقل ثم أفرج عنه. درّس بعدة جامعات في العالم العربي، وعين وكيلاً بوزارة الأوقاف بمصر. نال جائزة الملك فيصل العالمية. توفي بالرياض سنة ١٤١٦ رحمه الله تعالى. له عدة مصنفات. انظر «ذيل الأعلام»: ١٩٢ ـ ١٩٤.

الأصيل، وحضّه على الارتباط المادي المعنويّ بالكون عملاً وتأملاً، مع ذلك كله فهو دين يعقد أوثق العلاقات بالقلب اليقظان والمشاعر الجياشة، ويجعل الإيمان عاطفة دافقة بالحب والبر إلى جانب أنه نظر يتسم بالسداد والصواب.

والإسلام المكتمل ليس نظرية علمية أو اقتصادية، وليس فكرة مجردة عن الله مهما كانت هذه الفكرة صحيحة من حيث التصور والاستدلال، إنه قلب انفتحت أقفاله، وانفسحت أرجاؤه، وأشرق معنى الحب في جوانبه، فهو متعلق بربه، متتبعٌ لآثاره في كونه، عاشقٌ للخير مبغضٌ للشر، يمتد مع كل شيء حسن، وينكمش مع كل شيء قبيح...

كيف نحول معرفة الله إلى مذاق حلو يطبع النفوس على الرقة، ويصفي السرائر من كدرها؟ كيف نجعل المرء مشتاقاً إلى ربه؛ فهو ببواعث من أشواقه يطيعه ويسارع إلى مرضاته؟...»[١].

وقال الشيخ الغزاليّ ـ أيضاً ـ رحمه الله تعالى:

«ليس الدين أحكاماً جافة وأوامر ميتة، إنه قلب يتحرك بالشوق والرغبة، يحمل صاحبه على المسارعة إلى طاعة الله وهو يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[٢] فكيف تتحول التكاليف الصعبة إلى شيء سائغ حلو؟»[٣].

---

(١) «ركائز الإيمان بين العقل والقلب» ونقلت النص من كتاب «الشيخ الغزالي كما عرفته»: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) طه: ٨٤.

(٣) «الجانب العاطفي من الإسلام»: ٦.

ثم تحدث عن صنفين من الناس:

«صنف تلمس في قلبه عاطفة حارة، ورغبة في الله عميقة، وحباً لرسوله ﷺ بادياً، ومع ذلك تجده ضعيف البصر بأحكام الكتاب والسنة، يعلم منها قليلاً ويجهل منها كثيراً، ويغريه بالتعصب للقليل الذي يعلمه أنه يأنس من نفسه صدق الوجهة، وقوةَ محبةٍ لله ورسوله ربما افتقدها في غيره فلم يشعر بها.

وصنف تلمس في عقله ذكاء، وفي علمه سعة، وفي قوله بلاغة، يعرف الصواب في أكثر الأحكام الشرعية، ويؤدي العبادات المطلوبة منه أداء لا بأس به ولكنه بارد الأنفاس، بادي الجفوة، غليظ القلب، يكاد يتمنى العثار لغيره...

عرفت الصنفين معاً في تجاربي مع الناس، فكان يغيظني من أصحاب العاطفة ما يغلب عليهم من جهل، وما يشين غيرتهم من عكوف على الخرافات وعجز عن استيعاب الأحكام التي استعلنت في دين الله أدلتها، واكتفاؤهم بحب سلبيّ طائش.

وكان يغيظني من الآخرين استكبارهم بما هدوا إليه من صواب في بعض الأحكام العقيدية والفقهية، واستهانتهم بآفات القلوب، وفراغهم من حرارة الإقبال على الله والحنوِّ على عباده.

وقديماً شكا الإمام ابن القيم من أن بعض المدرسين والمفتين والقضاة غلب عليهم جفاف الطبع، وقسوة القلب، وإن كانت براعتهم النظرية في ميدان العلم لا مطعن فيها»[١].

(١) «الجانب العاطفي من الإسلام»: ١١ ـ ١٢.

وقال الشيخ الغزاليّ ـ أيضاً ـ رحمه الله تعالى:

«تلقينا فقه الصلاة مثلاً وحفظنا من واجباتها بضعة عشر، ومن سننها فوق الخمسين، ومن فروضها وشروطها كذا وكذا، واستغرق ذلك وقتاً طويلاً، ومع ذلك فلم نعِ شيئاً من روح الصلاة، من الخشوع الحَتْم في حضرة الله، فلم ندر شيئاً عن العظمة الباهرة التي ينبغي أن تغمر أفئدتنا وأوصالنا. لقد درسنا الشكل بدقة واستوعبنا من التعريف والضوابط الكثير، أما موضوع الصلاة فربما عرض له بعض المدرسين الأتقياء بكلمات قلائل وحَسْب، وليس هذا هو دين الله»[١].

هذه كانت بعض الأقوال المهمة التي توضح أثر العاطفة الإيمانية القوية الدافقة، وأهميتها في حياة المؤمنين.

وإنما أتيت بها ـ على طولها ـ لجمال السرد، وقوة العرض، حيث إن موضوع العاطفة الإيمانية يناسبه الحديث المسرود العاطفي، ولا يناسبه كثرة التقسيم العلميّ الموضوعيّ الصارم، والله الموفق.

---

(١) «الجانب العاطفي من الإسلام»: ١٥ ـ ١٦.

أهمية استثارة عواطف الناس الإيمانية

لما كانت العواطف الإيمانية القوية على هذا القدر السابق الذكر من الأهمية كان لابد من إحكام مخاطبة الناس باستثارة عواطفهم وإلهابها حتى يستجيبوا لما يراد منهم، أرأيت إذا كان الوقتُ وقتَ جهاد أيخاطب الناس بمقتضى العقول أم بلهيب العواطف، إن مقتضى العقل المكوث وعدم تعريض النفس للموت، والأهل للثُّكل، والأولاد لليتم، لكن الخطاب العاطفيّ يؤدي إلى تجاوز ما يأمر به العقل من تثبيط وإخلاد إلى الأرض، ويرتفع بالمرء إلى أن يسمح بروحه طيبةً بذلك نفسه.

وعلى هذا جرى الشارع الحكيم؛ فقد جاء في الكتاب والسنة قدر كبير من الخطاب العاطفي المؤثر الحامل على الاستجابة لما يطلب من الناس والارتداع عما يزجرون عنه، وهذا منهج حكيم بلا شك، وتفصيل هذا كالآتي:

المنهج الإلهيّ في استثارة العواطف وتهييجها:

الله تعالى خلق الخلق وهو أعلم بهم وبما يصلحهم؛ قال جل من قائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(١).

(١) الملك: ١٤.

وكان من حكمة الله تبارك وتعالى أن بث في كتابه آيات الترغيب والترهيب التي تستثير العاطفة الإيمانية وتسمو بها إلى أرقى المنازل، وتدفع صاحبها دفعاً إلى الطاعة والانتهاء من المعصية، وبتأمل الآيات التالية يتضح المقال:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ

---

(١) هود: ١٠٢ ـ ١٠٨.

كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(٢).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾(٣).

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾(٤).

---

(١) إبراهيم: ٤٢ ـ ٥٢.

(٢) مريم: ٦٨ ـ ٧٢.

(٣) الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٥.

(٤) الحج: ١٩ ـ ٢٤.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾(١).

هذا غيض من فيض فيما ورد في القرآن الكريم من أساليب استثارة العواطف وتقويتها والارتفاع بها.

المنهج النبويّ في استثارة العواطف الإيمانية وتهييجها:

كان النبي ﷺ يحدث أصحابه بأحاديث تستثير عواطفهم الإيمانية إلى الغاية، وتؤثر فيهم إلى درجة البكاء أو إلى حد التضحية بأرواحهم في سبيل الله، وذلك يتضح في أحاديث كثيرة منها هذا الحديث العجيب الذي يدل على معرفة النبي ﷺ بكيفية معالجة النفسيات إلى الغاية، فعن أبي سعيد الخدري(٢) رضي الله عنه قال:

---

(١) المؤمنون: ٩٩ ـ ١١١.

(٢) سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، أبو سعيد الخدري، له ولأبيه صحبة، واستُصغِر بأحد، ثم شهد ما بعدها، وروى الكثير، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين. انظر «التقريب»: ٢٣٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٣/ ١٦٨ ـ ١٧٢.

«لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب[١] ولم يكن في الأنصار منها شيء، فوجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة[٢] فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت؛ قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك فيها هذا الحي من الأنصار منها شيء.

قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟»

قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي!!

قال: «فاجمع لي قومك في هذا الحظيرة».

فخرج سعد وجمع الأنصار في تلك الحظيرة، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

«يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتني عنكم، وجِدَّةٌ[٣] وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء

---

(١) وهي الغنائم الحاصلة من غزوة هوازن.

(٢) سعد بن عبادة بن دُليم الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء وسيد الخزرج، وأحد الأجواد، وقع في صحيح مسلم أنه شهد بدراً، والمعروف عند أهل المغازي أنه تهيأ للخروج، فنُهش فأقام، مات بأرض الشام سنة خمس عشرة، وقيل غير ذلك، انظر «التقريب»: ٢٣١.

(٣) أي الغضب.

فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى، والله ورسوله أمنُّ وأفضل.

ثم قال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟».

قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المنّ والفضل.

قال ﷺ: «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصُدّقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك.

أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعة[١] من الدينا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟

ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟

فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً[٢] وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم[٣]، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا»[٤].

بهذه الاستثارة العاطفية لمشاعر الأنصار رضي الله تعالى عنهم حلّ النبي ﷺ مشكلة من أعظم المشكلات التي صادفته.

ومن الأمثلة الحديثية الأخرى التي تدل على أهمية استثارة

(١) قال المحقق: البقية اليسيرة.

(٢) قال المحقق: الطريق بين جبلين.

(٣) قال المحقق: أي بللوها.

(٤) «تهذيب سيرة ابن هشام»: ٣١٧ ـ ٣١٨، وأصل الحديث في البخاري ومسلم وأحمد وغير ذلك من المصادر، ولكني سقت هذه الرواية لما فيها من توسع جميل.

العواطف الإيمانية ما جاء عن أنس[١] رضي الله عنه قال:

«بلغ رسولَ الله ﷺ عن أصحابه شيء فقال: « عرضت عليّ الجنة والنار، فلم أر كاليوم في الخير والشر[٢]، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً و لبكيتم كثيراً».

قال: ما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه، غَطَّوْا رؤوسهم ولهم خَنين[٣]، فقام عمر فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً»[٤].

أمثلة من السلف الصالح على قوة العاطفة الإيمانية:

قد كثر في السلف من يُذكر الناس بالله رؤيتهم وسمتهم وحديثهم وموعظتهم[٥]، والحديث عنهم حديث عن بحر خضم هائل، لكن يكفي أن أورد بعض الأمثلة على هذه المسألة المهمة:

أ ـ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[٦]:

(١) أنس بن مالك بن النصر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعُه، وآخر أصحابه موتاً، مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين، وقد جاوز المئة. انظر «التقريب»: ١١٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٣/ ٣٩٥ ـ ٤٠٦.

(٢) قال الإمام النووي: لم أر خيراً أكثر مما رأيته اليوم في الجنة، ولا شراً أكثر مما رأيته اليوم في النار.

(٣) الخنين: نوع من البكاء دون الانتحاب.

(٤) صحيح الإمام مسلم شرح النووي: كتاب الفضائل: باب وجوب ترك سؤاله بكثرة ﷺ.

(٥) انظر على سبيل المثال ترجمة عمرو بن ميمون الأوديّ، والربيع بن خُثَيم، وعبد الملك بن جريج، والمعافى بن عمران، وعبد الله بن مسلمة القعنبيّ، وأحمد بن حنبل، وغيرهم كثر، رحمهم الله تعالى ورضي عنهم.

(٦) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدويّ، أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة، =

فقد قرأ قاصٌّ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾[١] فجعل ابن عمر يبكي حتى لَثِقَت[٢] لحيته وجيبه[٣] من دموعه.

وكان رضي الله عنه إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٤] بكى حتى يغلبه البكاء[٥].

ب ـ محمد بن المنكدر[٦]:

كان لا يتمالك نفسه إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ.

وبينما هو ذات ليلة قائم يصلي إذ كثر بكاؤه حتى فزع له أهله، وسألوه فاستعجم عليهم[٧]، وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم[٨] فجاء إليه فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مرّت بي آية. قال: ما هي؟ قال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[٩] فبكى أبو حازم معه فاشتد بكاؤهما[١٠].

= وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها. انظر «التقريب»: ٣١٥.

(١) النساء: ٤١.

(٢) أي: ابتلت.

(٣) أي: فتحة ثوبه مما يلي العنق.

(٤) الحديد: ١٦.

(٥) «نزهة الفضلاء»: ١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٦) الإمام الحافظ القدوة، سيد من سادة التابعين. ولد سنة بضع وثلاثين، وتوفي سنة ١٣٠ رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٥/ ٣٥٣ ـ ٣٦١.

(٧) أي: لم يفهموا ما قال.

(٨) سلمة بن دينار، أحد أئمة السلف، توفي بعد سنة ١٤٠ رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في المصدر السابق: ٦/ ٩٦ ـ ١٠٣.

(٩) الزمر: ٤٧.

(١٠) «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٦٠٧.

ج ـ سفيان الثوري[١]:

قال عنه أحد السلف:

«ما لقيت سفيان إلا باكياً، فقلت: ما شأنك؟ قال: أتخوّف أن أكون في أم الكتاب شقياً».

وقال آخر:

«كنت أرمق سفيان في الليلة بعد الليلة ينهض مرعوباً ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات».

وقال آخر:

«كان سفيان الثوري إذا ذكر الموت لم يُنتفع به أياماً. وكان إذا أخذ في ذكر الآخرة يبول الدم»[٢].

د ـ عبد الله بن المبارك:

وهو إمام من أئمة السلف رضي الله عنهم، زاهد مجاهد، عالم محدث حافظ، فضائله لا تحصى[٣].

كان سفيان الثوري على جلالة قدره يقول:

«إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام»[٤].

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوريّ الكوفي المجتهد، شيخ الإسلام، إمام حافظ. فضائله أكثر من أن تحصر. مات سنة ١٦١ رحمه الله تعالى. انظر «سير أعلام النبلاء»: ٧/ ٢٢٩ ـ ٢٧٩.

(٢) «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٦٩٦ ـ ٦٩٨.

(٣) توفي سنة ١٨١ رحمه الله تعالى. اقرأ ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٨/ ٣٧٨ ـ ٤٢١.

(٤) «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٦٥٥.

قال عنه أحد السلف:

«كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقائق يصير كأنه ثور منحور أو بقرة منحورة من البكاء، لا يجترئ أحد منا أن يسأله عن شيء إلا دفعه»[١].

فهؤلاء الأعلام وغيرهم كثر لا يحصرهم إلا الله، سيرتهم مرققة ودافعة للمرء على أن يسير على منوالها، وإدامة قراءة سيرهم علاج عظيم لقسوة القلب، ومثرية للعاطفة الإيمانية ومعظمة لها، ألحقنا الله بهم على أحسن حال.

هـ ـ الموفق بن قدامة: عبد الله بن أحمد:

«كان إماماً في فنون، ولم يكن في زمانه ـ بعد أخيه أبي عمر والعماد ـ أزهد ولا أورع منه، وكان كثير الحياء، عزوفاً عن الدنيا وأهلها. . . من رآه كأنه رأى بعض الصحابة، وكأنما النور يخرج من وجهه، كثير العبادة. . . شاهدت[٢] من الشيخ أبي عمر وأخيه الموفق ونسيبه العماد ما نرويه عن الصحابة والأولياء الأفراد، فأنساني حالهم أهلي ووطني»[٣].

«على قانون السلف، على وجهه النور، وعليه الوقار والهيبة، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه»[٤].

---

(١) المرجع السابق: ٢/ ٧٦٧.
(٢) المتكلم سبط ابن الجوزي وهو حنفي والموفق حنبليّ، فتأمل الإنصاف.
(٣) «الذيل على طبقات الحنابلة»: ٢/ ١٣٣.
(٤) المصدر السابق.

«وكان لا يراه أحد إلا أحبه»[(١)]. وله كرامات عجيبة كما لكثير من آل قدامة رضي الله عنهم.

و ـ الحافظ عبد الغني المقدسيّ:

«كان رحمه الله يقرأ الحديث يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع دمشق، وليلة الخميس بالجامع ـ أيضاً ـ ويجتمع خلق، وكان يقرأ ويبكي ويُبكي الناس بكاءً كثيراً حتى إن من حضر مجلسه مرة لا يكاد يتركه لكثرة ما يطب قلبه وينشرح صدره فيه، وكان يدعو بعد فراغه دعاءً كثيراً»[(٢)].

«وكان عظيم الخَلْق، تام القامة، كأن النور يخرج من وجهه، وكان قد ضعف بصره من البكاء والنسخ والمطالعة»[(٣)].

«وجاء إلى مصر فحضر الناس وفرحوا به، وبكى الناس حتى غُشي على بعضهم، وكان إذا خرج للجمعة لا يُقدر على المشي معه من كثرة الخلق حوله»[(٤)].

«وكان لا يضيع شيئاً من أوقاته بلا فائدة؛ فإنه كان يصلي الفجر ويلقِّن القرآن، وربما أقرأ شيئاً من الحديث تلقيناً، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ثلاثمئة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل الظهر، وينام نومة ثم يصلي الظهر، ويشتغل إما بالتسميع أو النسخ إلى المغرب، فإن كان صائماً أفطر وإلا صلى المغرب إلى العشاء، ويصلي العشاء وينام

(١) «نزهة الفضلاء»: ٤/ ١٦٨١.
(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة»: ٢/ ٥.
(٣) «نزهة الفضلاء»: ٤/ ١٦٤٣.
(٤) المصدر السابق: ٣/ ١٥١٤.

إلى نصف الليل أو بعده، ثم قام كأن إنساناً يوقظه فيصلي لحظة ثم يتوضأ، ثم يصلي إلى قرب الفجر، ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر، وهذا دأبه»(١).

ز ـ إبراهيم بن عبد الواحد، عماد الدين المقدسي:

«كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان كثير الدعاء بالليل والنهار، وكان إذا دعا كأن القلب يشهد بإجابة دعائه من كثرة ابتهاله وإخلاصه، وكان إذا شرع في الدعاء لا يكاد يقطعه ولو اجتمع أهله وجيرانه فيدعو وهم حاضرون ويستبشرون بذلك، وربما بكى بعض الحاضرين عند دعائه، وكان يطيل الركوع والسجود في الصلاة، وكان من أكثر الناس خوفاً وتواضعاً لله تعالى»(٢).

والعجيب أن الخوارج على غِلظ أكبادهم، وقسوة قلوبهم، وجفاء سلوكهم، وقلة فقههم، والغشاوة التي ضربوها على أعينهم كانت طوائف منهم قد ضربت في العبادة والرقائق مثلاً عظيماً، فهذا أبو حمزة الشاريّ الخارجيّ(٣) يصف أصحابه ويقول في خطبة طويلة اصطفيت منها الآتي:

---

(١) المصدر السابق: ٣/ ١٥١٥.

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة»: ٢/ ٩٣.

(٣) المختار بن عوف بن سليمان الأزديّ السَّليميّ البصريّ، أبو حمزة. ثائر فتاك، من الخطباء القادة. ولد بالبصرة وتمذهب بمذهب الإباضية الخوارج. وكان يوافي مكة كل سنة يدعو الناس إلى الخروج على مروان بن محمد الخليفة الأمويّ. ثم جمع قوة حوله واستولى على مكة وتبعه جمع من أهلها، ثم مر بالمدينة فقاتله أهلها فقتل منهم نحو سبعمئة أكثرهم من قريش ودخلها عنوة وأقام فيها ثلاثة أشهر، ثم زحف نحو الشام فأرسل إليه مروان بجيش قوامه أربعة آلاف فارس فهُزم أبو حمزة وتقهقر إلى مكة فتبعه قائد الجيش فقتله في مكة سنة ١٣٠. انظر «الأعلام»: ٧/ ١٩٢.

«شباب والله مكتهلون في شبابهم، غَضيضةٌ عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة وأطلاح سهر[١]، ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، وقد أكلت الأرض ركبهم وأياديهم وجباههم، واستقلوا ذلك في جنب الله، حتى إذا رأوا السهام قد فُوِّقت[٢]، والرماح قد أُشرعت، والسيوف قد انتضيت، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت مضى الشاب منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، وتخضبت محاسن وجهه بالدماء، فأسرع إليه سباع الأرض، وانحطت إليه طير السماء، فكم من عين في منقار طائر بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله، وكم من كف زايلت[٣] معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله، ثم قال: أوّه[٤]، أوّه، وبكى ثم نزل»[٥].

نعم إن لديهم عاطفة إيمانية قوية تحملهم على مثل هذا الذي صنعوه، لكنها وضعت في غير موضعها، وكان ينبغي أن توضع جهاداً للكافرين.

وإنما سقت هذه الخطبة لأبين عاطفتهم الإيمانية القوية ولو كانوا خوارج، والله أعلم.

❁ ❁

(١) قال المحقق: أنضاء جمع نضو، وهو اللحم الخفيف من التعب، وأطلاح جمع طِلح وهو المهزول.
(٢) فُوِّقت: جعلت لها الأفواق، والفوق: موضع الوتر من السهم.
(٣) أي: فارقت.
(٤) قال المحقق: كلمة معناها التحزن.
(٥) «عيون الأخبار»: ٢/ ٢٥٠.

نماذج من المعاصرين

قد كان لبعض المعاصرين عاطفة إيمانية قوية، ورقة مشهورة معروفة، فبزُّوا بها من اكتفوا بإلقاء الآيات والأحاديث بأساليب جافة باردة، فمن أصحاب العواطف الإيمانية القوية:

١ ـ الإمام الشهيد حسن البنا[١] رحمه الله تعالى:

يحكي عنه الأستاذ عباس السيسي قائلاً:

«كثيراً ما كان هذا البطل القوي يبكي بدموع غزار، وإني لأذكر في ذلك اليوم أن استلم وهو بدار «الشهاب» برقية من والد أحد الشهداء في فلسطين رداً على برقية الأستاذ له، وكانت برقية والد الشهيد برقية مؤثرة فيها تضحية وفدائية واستبسال، بكى الأستاذ كثيراً، وبكى الحاضرون، وكانت لحظات من الحساسية المرهفة والشعور العميق»[٢].

---

(١) حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين. ولد سنة ١٣٢٤ في المحمودية ـ قرب الإسكندرية ـ ودرس بدار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، وتنقل في بعض البلاد متعرفاً إلى أهلها مختبراً طباعهم وعاداتهم. أنشأ دعوته في الإسماعيلية ثم انتقل إلى القاهرة. ونظم أمر أتباعه وشاركوا في حرب فلسطين مجاهدين. ثم اصطدمت بهم الدوائر الاستخرابية العالمية فسجنتهم وقتلت مرشدهم سنة ١٣٦٨ رحمه الله تعالى في حادثة غادرة لئيمة. له بعض الرسائل النافعة والآثار الباقية. وانظر «الأعلام»: ٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٢) «حسن البنا: مواقف في الدعوة والتربية»: ٤٩.

ويقول الأستاذ البنا عن نفسه رحمه الله تعالى:

«ليس يعلم إلا الله كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والأدواء، ونفكر في العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء»(١).

وكان لهذه العاطفة الإيمانية القوية أعظم الأثر في نجاح دعوته والتفاف الناس حوله، رحمه الله تعالى.

واقرأ أخي هذه الحادثة بقلبك قبل عينيك، إذ تحدث الإمام البنا قائلاً:

«كان حفل افتتاح الجماعة في «بورسعيد» ويوم الحفل اشتدت بي حالة احتقان في اللوزتين، وسافرت من الإسماعيلية إلى «بورسعيد» مضطجعاً من الإعياء، وقال لي الدكتور: إذا سافرت اليوم وخطبت الليلة فإنك تكون الجاني على نفسك، ولا أظنك تستطيع الخطابة بحال، ولكني مع هذا صممت على السفر، ونزلت من القطار إلى دار الإخوان، وصليت المغرب فيها من قعود للإعياء، وانتابتني بعد الصلاة حالة نفسية عجيبة؛ فقد تصورت سرور الإخوان بحفلهم وآمالهم المعلقة عليه، ونقودهم التي أنفقوها من أجله، ثم تكون النتيجة اعتذار الخطيب.

تصورت هذا فبكيت بحرارة، وأخذت أناجي الله تبارك وتعالى في تأثر عميق واستغراق عجيب إلى وقت صلاة العشاء، فشعرت بشيء من النشاط، وصليت العشاء من قيام، وجاء وقت الحفل وافتتح بالقرآن، ووقفت للخطابة، وبدأت وأنا لا أكاد أسمع نفسي، وسرعان

---

(١) «حسن البنا: الداعية الإمام والمجدد الشهيد»: ٢٧.

ما شعرت بقوة عجيبة، وشفاء تام، وصفاء في الصوت غريب، وارتفاع فيه كان يسمعه مَن في داخل السُّرداق ومَن في خارجه، ولم يكن استخدام «الميكرفون» قد ذاع حينذاك، حتى كدت أحسد نفسي بل حسدتها فعلاً، وانتهى الحفل على خير ما يرام، وقد استغرقت الخطبة أكثر من ساعتين.

ومن فضل الله وجميل كرمه أن هذا الاحتقان كان يعودني كل عام تقريباً، ومن تلك الليلة وأنا لا أجده، والحمد لله»[١].

وكان رحمه الله تعالى: «إذا سافر مع أصحابه أشرف على نومهم، وبحث عن الأسرة والغطاء وكل أمورهم، فإذا اطمأن إلى أنهم رقدوا عاد إلى حجرته يتوضأ ويصلي هزيعاً من الليل ويناجي حتى الفجر، ثم ينام بعده ساعة أو ساعتين يستيقظ بعدها فتياً قوياً»[٢].

ولما سجن أتباعه في مصر كان يقوم من الليل ويضع كلتا يديه على أذنيه ويقول:

«إنني أسمع صياح الأطفال الذين غاب آباؤهم في المعتقلات»[٣]، وهذا من قوة عاطفته، وجميل تأثره، رحمه الله تعالى.

٢ ـ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز[٤]، رحمه الله تعالى:

كان رحمه الله تعالى يتمتع بعاطفة إيمانية قوية قلَّ من يعرفها عنه،

---

(١) «حسن البنا: الداعية الإمام والمجدد الشهيد»: ٣٢.

(٢) المصدر السابق: ٢٨٥.

(٣) المصدر السابق: ٣٠٣.

(٤) علم من أعلام العلم والدعوة في القرن الخامس عشر وأشهر من أن يُعَرّف به مثلي. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٤٢٠ عن سن عالية. وله عدد من الرسائل النافعة والفتاوى الكثيرة المطبوعة المسجلة.

لكن لا عجب فإني أحسب الشيخ أحد العلماء العاملين، يقول أحد تلاميذه:

«كان الشيخ إذا سمع آية وعيد أو موقفاً مؤثراً تسبقه عبراته، ويبلغ به التأثر حداً عجيباً حتى تخضلّ لحيته من البكاء، وأذكر أنني عندما قرأت عليه مقولة أبي بكر رضي الله عنه: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» تأثر جداً وبكى طويلاً عندها»(١).

وقال آخر: «لقد أُخبر يوماً بأن طلبة معهد شرعي لم يتناولوا طعام العشاء والغداء ذلك اليوم، فلم يكن منه إلا أن أسبل دموعه الحَرّى على حالهم، ثم أمر أن تباع سيارته الوحيدة ليُشترى الطعام لأولئك الطلبة»(٢).

وحدّث ثالث أن الشيخ كان إذا قُرئ عليه حديث الإفك بكى وأبكى، وإذا قرئت قصة كعب بن مالك المشهورة في توبته بكى كثيراً، وهكذا كان رحمه الله تعالى يبكي إذا استعرضت أحوال المسلمين، وما هم فيه من هموم وضعف.

وهكذا كان هذا الرجل الكبير عظيم عاطفة، وجميل تأثر، وفيوض مشاعر، رحمه الله تعالى.

ويكفي هذان المثالان الوضيئان في بيان العاطفة الإيمانية التي لابست بعض المتأخرين، فأنتجت عملاً عظيماً وأثراً كبيراً، والله الموفق.

---

(١) «مواقف مضيئة في حياة الشيخ عبد العزيز بن باز»: ١٣.
(٢) المصدر السابق: ٣٧.

وجوب جعل العاطفة الإيمانية القوية هدفاً يُسعى إليه

إذا علم ما سبق بيانه من أهمية العاطفة الإيمانية في حياة المسلم فإنه ينبغي أن تُجعل هدفاً يُسعى للحصول عليه، فالمرء المسلم في هذه الحياة يعمل بكل ما أوتي من قوة ليصل إلى تحقيق كل ما يرضاه الله تعالى ويحبه، فتراه يحث الخطى في ضبط الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية وغيرها على منهج إسلامي سديد، وتراه يخطط للوصول إلى الكمال في كل ذلك، ولعله ـ أيضاً ـ يحاول أن يكثر من التقرب والتعبد إلى مولاه بوسائل شتى، لكنه لا تجده يهتم بعاطفته الاهتمام اللائق، فيقسو قلبه ويصبح سائراً في مجالات العمل الإسلامي سيراً آلياً رتيباً لا يكاد يلتفت فيه إلى إصلاح قلبه وتقوية عاطفته الإيمانية، وهذا أمر خطير ينبغي الالتفات إليه كالالتفات إلى سائر الشؤون الأخرى، بل أشد، وينبغي كذلك أن يخَطط للوصول إليه كما يُخطَط لكل شأن آخر في حياة المرء المسلم العامل الداعية.

ولا بد من أن يخطو المرء خطوات متعددة متدرجة للسمو بعاطفته إلى المكان اللائق الذي ينبغي أن تتبوأه في نفسه وقلبه، وهذه الخطوات هي خطة متكاملة يضعها لنفسه يحقق بها ما يريد:

«لقد أصيبت درجة الإحسان بضعف كبير في حياة كثير من الناس فأمحلت مرابع القلوب[١]، ولا يكفي لعلاج هذه الظاهرة مجرد ذكر الضعف والإشارة إلى اليبوسة الحاصلة، بل لا بد أن يتخذ الدعاة والمصلحون من مناهج العلم والعمل ما يعلم القلب الخشوع والعين الدموع على غرار ما كان يفعله السلف في قولهم: هيا بنا نؤمن ساعة»[٢].

ومما يساعد بقوة في التأثير على الناس، واستثارة عواطفهم الإيمانية:

إعداد وعاظ أصحاب عاطفة إيمانية دافقة:

هذا الأمر على غاية عُليا من الأهمية، وهو أن يُوجد ويُعَدَّ وعاظ أصحاب إيمانيات عالية وعواطف قوية، وأصحاب بكاء ونشيج، وهذا لما لهم من الأثر البالغ في حياة الناس؛ إذ ما قيمة واعظ يتحدث عن التقوى والتوبة والرغبة والرهبة، والوعد والوعيد، والجنة والنار، واليوم الآخر وما له من أهوال وعظائم، أو يتحدث عن الخشية والتوكل والإنابة، وعن أمثال هذه المعاني في خطب ومحاضرات ثم إنه لا يذرف دمعة، ولا تفرّ منه عبرة، ولا يساعده نشيج، ولا يسعفه نحيب، إن دمعة واحدة خير من محاضرة، وإن بكاءً مؤثراً خير من خطبة، هذا مشاهد معلوم، ولا يملك هذا ولا يستطيعه إلا أصحاب العواطف الإيمانية القوية فهم الأجدر بالوعظ والأحق بالتصدر في مثل هذه القضايا، ويُدّخَر أصحاب العواطف المتوسطة أو الضعيفة

---

(١) أي: أجدبت.

(٢) «زغل الدعاة»: ١٠٦.

لموضوعات يلقونها تناسبهم ويبرعون فيها مثل موضوعات الدعوة والفكر والثقافة، والموضوعات الشرعية العلمية فهم أهلها وأولى الناس بها؛ وذلك لأنه ليست لتلك المواضيع صلة ـ إلا من بعيد وعلى هيئة استطرادية ـ بالعواطف الإيمانية والبكاء والترقيق.

إذاً إعداد هؤلاء الوعاظ أمر مهم للغاية، وبهم سيتعلق أفراد من المجتمع كُثُر، وعلى أيديهم سيتوب آلاف من الناس، وبالنظر إلى المجتمعات الإسلامية نجد أن أولئك الوعاظ أصحاب العواطف الإيمانية الدافقة يندر وجودهم ويقل حضورهم، فينبغي أن تصطفي وزارات الشؤون الإسلامية، والهيئات المعنية، والجمعيات والجماعات أناساً يُتخيرون ويعتنى بهم ويُصطفون مرة بعد مرة، ويفرغون لما وهبهم الله تعالى إياه ولما هم أقدر الناس عليه، وتُشفع عواطفهم القوية تلك بالتعليم الشرعيّ، ويدرسون الثقافة الإسلامية حتى يكون لوعظهم أكمل الأثر وأحسنه وأفضله.

طريق تحصيل العاطفة الإيمانية

قد أسلفت الحديث في التمهيد بأنه ليس من غرض هذا البحث التوسع في بيان الإيمانيات والروحانيات، وذلك لأن كتباً كثيرة في القديم والحديث توسعت في تفصيل هذا الأمر[١]، لكني سأفصل في جانبين مهمين يستحقان التفصيل ألا وهما:

١ ـ التعلق بأسماء الله الحسنى وصفاته:

وهذا التعلق جالب للخشوع والخضوع والرقة والانكسار، ويفعل في النفس الأفاعيل، وعلى ذلك اجتمعت كلمة من تكلم في الرقائق، قال الأستاذ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى تحت عنوان:

---

(١) ومنها كتاب «روحانية الداعية» للأستاذ عبد الله علوان رحمه الله تعالى، فقد أفاض فيها وتوسع، وذكر تسع ركائز في هذا الباب موجزة جامعة أظنها تغني عن طويل كلام وكثير تفصيل، وهي: دوام المراقبة لله، واستحضار الموت وما بعده، واستذكار الآخرة وأهوالها، وتلاوة القرآن الكريم مع التدبر والخشوع، ومصاحبة النبي ﷺ في سيرته العطرة، ومصاحبة الأخيار من أهل المعرفة بالله، والمداومة على ذكر الله عز وجل في كل الأوقات والأحوال، والبكاء في الخلوات من خشية الله، والتزود من عبادة النافلة على الدوام: انظر ص٩١ وما بعدها.
وهذه النقاط التسع كل منها يصلح أن يكون مفصلاً في رسالة مستقلة، لكن يكفي التنبيه عليها موجزة هكذا، لأن الداعية قد قرع سمعه مراراً هذه المعاني، واستفاد من ذكرها عنده، وتكرارها ـ هنا ـ قد يكون مرجوح الفائدة.

«الصفات هي التي تثير الحب، وتبعث الحنان، ولذلك أطال وأكثر من ذكرها القرآن».

«وذلك سر إطالة القرآن في ذكر صفات الله وأفعاله، وآلائه ونعمائه، وإشادته بها، والعودة إليها مرة بعد مرة، فإن الصفات هي التي تثير الحب وتبعث الحنان، وتوجد الأشواق، وذلك سر تفصيل القرآن الذي يعبر عنه بعض علماء الكلام وأئمة الإسلام، «بالنفي المجمل والإثبات المفصل»[1] فإن الإثبات هو الذي ينبع منه الحب، ويفيض منه الحنان، وتنبعث به الأشواق، وتتغذى به العاطفة، فإذا كان النفي رائد العقل كان الإثبات رائد القلب، ولولا هذه الصفات العليا وأسماء الله الحسنى التي نطق بها القرآن، ووردت بها السنة، وهام بها الهائمون، وتغنى بها العارفون، وسبّح بها المسبّحون، وسبح في بحارها ونزل في أعماقها الغواصون لكان هذا الدين خشيباً جامداً، لا يملك على أتباعه قلباً، ولا يثير فيهم عاطفة، ولا يبعث فيهم الحماس، ولا يحدث في قلبهم رقة، ولا في الصلاة خشوعاً، ولا في العين دموعاً، ولا في الدعاء ابتهالاً، ولا في الجهاد تفانياً، وكانت علاقة العبد بربه علاقة محدودة ميتة لا حياة فيها ولا روح، ولا مرونة ولا سعة، وكانت الحياة كلها رتيبة خشيبة، لا عاطفة فيها ولا أشواق، ولا حنان فيها ولا هيام، وإذاً أي فرق بين الحياة والموت، وبين الإنسان والجماد؟»[2].

---

(١) ذكر الأستاذ الندويّ أن هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية.
والإثبات مثل: هو السميع البصير المتكلم. والنفي مثل: لا ينام، ولا تأخذه سِنة، ولا ينس إلخ... سبحانه وتعالى.

(٢) «الأركان الأربعة»: ٢٤٠ ـ ٢٤١.

وطريق التعلق بهذه الأسماء والصفات ما يلي:

أ ـ معرفة معانيها، فمن عرف معنى «القهار» و«الجبار» و«المنتقم» يخشع ويرق ويخضع، ومن عرف معنى «الخالق» و«القادر» وتعمق في معرفة الكون وما فيه من عجائب، وحكم، وقدرة في الخلق خشع ورق وخضع، ومن عرف معنى «الرقيب» و«الحسيب» كف عن المحرمات وراقب الله تعالى في الخلوات، وهكذا. . . فإن معرفة المعاني تفضي بالعبد الموفق أن يتخذها منهجاً للحياة وطريقاً للوصول إلى مرضاة الله تعالى.

ب ـ إثباتها لله تعالى بلا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل، كما كان السلف رضي الله عنهم يصنعون، فإن الخوض فيها والحديث عنها بقواعد علم المنطق يقسي القلب ولا يعود على المرء بفائدة، وكل الخير في اتباع السلف رضي الله عنهم.

ج ـ الدعاء بها بحسب الحاجة، فمن كان طالباً للرزق فليدع باسم «الرزاق»، ومن كان خائفاً يدعو باسم «السلام» و«المؤمن»، ومن كان في ورطة فليدع باسم «الكافي»، ومن كان مريضاً فليدع باسم «الشافي»، وهكذا. . .

والمجتمعات الإسلامية المعاصرة بعيدة كل البعد عن التعلق بالأسماء والصفات ـ إلا قليلاً ممن أحب الله ورحم ـ وذلك لأن أكثر المسائل التي تلقى على أسماع الناس في باب الأسماء والصفات مسائل نظرية جافة، ومباحث كلامية منطقية، لكن تفصيل أثر الأسماء والصفات على السلوك الإنسانيّ عمل مهجور ومبحث متروك، ولا أدري لماذا؟! إذ ليس أنفع لعوام الناس وخواصهم من تعميق

دراسة أثر الأسماء والصفات على سلوكهم، ووجوب تفاعلهم معهما، ونجد أن هذا الأمر يندر تدريسه وإفشاؤه في الناس، وفي المقابل ينشط العلماء في البيان العقدي النظري للأسماء والصفات، وليتهم جروا على ما جرى السلف عليه فهم قد قالوا في بيان كيفياتها: «أمِرُّوها كما جاءت» يعني لا نتكلف الخوض في الكيفيات، بل نكل أمرها إلى الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١).

والعجيب أن السلف الصالح رضي الله عنهم ما كانوا يلقون على عوام الناس هذه المسائل النظرية، وإنما كانوا يأخذونهم بالسلوك العمليّ وتطبيق فهم الأسماء والصفات على منهاج الحياة اليومية من توكل، وخشوع، وخضوع، وإنابة، وتوبة، واستغفار، وإجلال لله تعالى وتعظيم، إلخ. . . فإن برزت حاجة للحديث عن الأسماء والصفات من باب تفهم معانيها والرد على أهل الشبهات الخائضين فيها تحدثوا وإلا صانوا أسماع العوام عما لا حاجة لهم به ولا تعلق لأفهامهم به، بل قد أنكر الإمام مالك(٢) رحمه الله تعالى تحديث الناس ببعض أحاديث الصفات، ولم ينكرها لأنها غير صحيحة بل لتشوش العوام الطغام إذا ألقيت على أسماعهم هذه المسائل العِظام.

٢ ـ قراءة سيرة السلف الصالحين ذوي العواطف الدافقة:

قراءة سير السلف الصالحين منذ زمان رسول رب العالمين عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم

---

(١) الشورى: ١١.

(٢) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، أبو عبد الله المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقنين، وكبير المتثبتين، مات سنة ١٧٩، وكان مولده سنة ٩٣، وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة. انظر «التقريب»: ٥١٦.

بإحسان أمر في غاية الأهمية، إذ في تلك السير عبر مرققة، ومواعظ مؤثرة؛ فقد كانوا أهل بكاء، وأصحاب قلوب رقيقة خاشعة، وقراءة سيرهم مؤثرة أعظم التأثير في قارئها؛ وذلك أن القارئ يطلع على مجتمع مفقود في عالمه، وينظر في حال أناس لم يألف رؤية أمثالهم في زمانه[١].

(١) انظر مبحث «أمثلة من السلف الصالح على قوة العاطفة الإيمانية»، ففيه غنى عن تكرار الأمثلة هاهنا.

الصوارف التي تحول دون تأجج العواطف الإيمانية

في الحياة صوارف كثيرة تحول بين الناس وبين تأجيج عواطفهم الإيمانية وتقويتها والرقي بها إلى النافع المفيد، وهذه الصوارف متعددة متنوعة، لكني حاولت اختصارها وإرجاعها إلى أصول عامة ينضبط الحديث عنها.

هذا وينبغي أن يعلم أن هذه الصوارف لم آت بها من نسيج الخيال ولا من حديث بنات الأفكار، لكني أتيت بها من واقع حياة كثير من الصالحين والدعاة، ومن واقع حديثي معهم في عدد من القضايا التي أوردتها هاهنا، ومن التجارب المتكررة الطويلة التي هي من خير البراهين، فهذه الصوارف ـ إذاً ـ هموم واقعية، ومشكلات حقيقية تعترض طريق الدعاة، وهم ما لم يجدوا سبيلاً لتجاوزها والقفز عليها فإنهم سيظلون يدورون في حلقة مفرغة في باب العاطفة الإيمانية، ولن يستطيعوا أن يحققوا لأرواحهم شيئاً يذكر، والله أعلم.

الصارف الأول
قضايا ارتبطت بالتصوف

قد يكون هذا الصارف غريباً، إذ ارتبطت الرقائق بالتصوف ارتباطاً معلوماً، لكن تفصيل هذا وتفسيره على النحو التالي:

ارتبطت الرقائق بالتصوف ارتباطاً وثيقاً منذ مدة بعيدة، وكان ذلك لعوامل عديدة، وصارت كتب الرقائق ـ في أكثرها ـ شارحة للتصوف ساردةً قواعده، مبينة له، بل إنه منذ أواخر القرن العاشر كان كل مسلم ـ إلا القليل ـ يريد السلوك إلى الله والدار الآخرة لا يجد أمامه إلا التصوف والطرق الصوفية، حتى إن العلماء والمصنفين كانوا يلقبون أنفسهم بألقاب طرقهم الصوفية التي ينتسبون إليها.

ولما انحرفت أكثر الطرق الصوفية في الأزمنة المتأخرة، وخالطتها بدع كثيرة انتقل ذلك التخليط وتلك البدع إلى الرقائق وأصبحت ممتزجة بهما امتزاج الروح بالبدن، وبالاستقراء التاريخي للقرون الأربعة الأخيرة يتضح ما ذكرته كل الوضوح، ويغني الاشتهار عن كل برهان.

ولما شاعت الصحوة الإسلامية في السنوات الأخيرة من القرن الهجري الفائت، وعرف الناس الحق صافياً نقياً نبذوا التصوف كلياً لاختلاطه بالبدع كما ذكرت آنفاً ـ إلا قليلاً ممن ظل على تمسكه بالطرق الصوفية ـ وعندما أُطلق الحديث عن الناس إنما أعني دعاتهم وعلماءهم ومثقفيهم وأولي الرأي منهم لا عوامهم(١).

(١) ليُعلم أنه ليس كل من انتسب إلى التصوف يُعدّ ما يأتي به بدعة وضلالاً، ولكن هناك ميزان دقيق يجب أن نعرض كل الأعمال عليه ألا وهو ميزان الشرع المطهر، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام كثير في هذه المسألة، منه قوله رحمه الله تعالى: «تجد كثيراً من المتفقهة إذا رأى الصوفية المتعبدة لا يراهم شيئاً، ولا يعدهم إلا جهالاً وضلالاً، ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئاً، وترى كثيراً من المتصوفة والمتفقرة لا يرى الشريعة والعلم شيئاً، بل يرى المتمسك بهما منقطع عن الله، وأنه ليس عند أهلها شيء مما ينفع عند الله.

=

وهنا برز خطر عظيم بل هو مرض عضال وداء مستعص ألا وهو الجفاف الإيمانيّ، والجفاء والغلظة، وذلك أن الناس لما نبذوا التصوف نبذوا معه كل ما يمكن أن ينسب إليه أو يتصل به من قريب أو بعيد، ولما كان التصوف أكثر مبناه على الرقائق فقد نُبذ أكثرها واستبعد أو استوحش منها ونُفر وخيف، وكلما تذكر الناس أو قرؤوا ما كان يجري في القرون الخوالي من البدع والخرافات وارتباط ذلك بالتصوف استحكمت نفرتهم، واشتدت وحشتهم، وهاجت نفوسهم عداءً على كل مظاهر التصوف وما يتصل به من قريب أو بعيد.

والناظر لحال أكثر الناس اليوم ـ من الطبقة التي ذكرت آنفاً ـ يرى أنها انتقلت من النقيض إلى النقيض تقريباً، وكأنه ليس هناك أمر وسط ولا منزلة بين منزلتين، ونسينا التوسط الذي هو سمة أمتنا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

وأصبح أكثر الناس يعانون من جفاف روحيّ إيمانيّ وخمود عاطفيّ لم يكن له مثيل فيما سبق من الأزمنة، وساعد على ذلك الهجمة الضخمة للحضارة المادية بكل عنفوانها وقوتها الإعلامية والاقتصادية والاجتماعية والفساد المصاحب لكل ذلك.

وهناك جوانب من الرقائق ارتبطت بالتصوف ارتباطاً وثيقاً، وصارت شعاراً له، وقد أدى ذلك إلى نبذها والاستيحاش منها،

= والصواب أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل»: «اقتضاء الصراط المستقيم»: ص١٤، وهذا نص فاخر في غاية الإنصاف والعدل، والله تعالى أعلم.

(١) البقرة: ١٤٣.

وأصبح كثير ممن ضحل علمهم واضمحل فهمهم ينكرون على من يأتيها أشد الإنكار، فمن ضروب الإنكار هذه:

١ ـ إنكار استدامة الذكر:

مسألة الذكر من أعظم مظاهر الرقائق وأهمها، وقد جاء في فضلها أحاديث كثيرة وآثار جميلة؛ فمن ذلك قول النبي ﷺ: «سبق المُفَرِّدون». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»(١).

وقال ﷺ:

«من قال لا إله إلا الله وحدهُ لا شَريك له، لهُ الملك، وله الحمدُ، وهو على كل شيء قَدير، في كل يومٍ مئةَ مرَّة كانت له عَدْلَ عَشرِ رِقاب، وكُتبَت له مئةُ حسَنة، ومُحِيَت عنه مئة سيِّئة، وكانت له حِرزاً منَ الشيطان يومَهُ ذلك حتى يُمسيَ، ولم يَأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء به إلا رجلٌ عملَ أكثر منه»(٢).

وقول النبي ﷺ: «إلا رجلٌ عملَ أكثر منه» فيه إشارة صريحة إلى أهمية استدامة الذكر.

وقبل كل ذلك قوله تعالى:

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٣).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات: باب فضل التهليل.

(٣) الأحزاب: ٣٥.

وقال الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾(١)، وهذا يدل على أهمية وفضل استدامة الذكر، إذ هذه الأحوال الثلاثة هي غالب أحوال الناس.

وكان التابعي الكبير أبو مسلم الخولانيّ(٢) يرفع صوته بالتكبير حتى مع الصبيان ويقول:

«اذكر الله حتى يرى الجاهل أنك مجنون»(٣).

وقال حجّام لأحد السلف: سكّن شفتيك. قال: قل للزمان حتى يسكن(٤).

وقصّ إنسان شارب معروف الكرخيّ(٥) فلم يفتر من الذكر، فقال: كيف أقص؟ قال: أنت تعمل وأنا أعمل(٦).

ولو ذهبت أستقصي كل ما جاء عن السلف في هذه القضية لجمعت أوراقاً كثيرة، لكن يكفي في استدامة الذكر وفضله وأنه شعار الصالحين ما ذكرته.

---

(١) آل عمران: ١٤٢.

(٢) عبد الله بن ثُوَب الداراني الخولاني سيد التابعين وزاهد العصر. كان في اليمن وانتقل إلى الشام إثر حادثة باهرة جرت له مع الأسود العَنَسي المتنبئ الكذاب الذي رماه في النار ونجاه الله منها. وكانت له كرامات باهرة وأحوال عجيبة. توفي بداريا قريباً من دمشق سنة ٦٢ رحمه الله تعالى. انظر «سير أعلام النبلاء»: ٤/ ٧ ـ ١٤.

(٣) «نزهة الفضلاء»: ١/ ٣١٩.

(٤) المصدر السابق: ٣/ ١٢٨٣.

(٥) علم الزهاد وبركة العصر، أبو محفوظ البغدادي. أخباره جميلة. توفي سنة ٢٠٠، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٩/ ٣٣٩ ـ ٣٤٥.

(٦) «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٧١٤.

وقد كانت الصوفية تكثر من ذكر الله تعالى إكثاراً بنت عليه طرقها وأورادها، فالذكر إذاً أساس كبير من أسس بناء الطريقة وتلقين المشايخ مريديهم العهد ـ كما هو معروف من كتبهم وأحوالهم، وهذا مشاهد معروف ـ فلما كان الأمر كذلك صار الذاكر الدائم الذكر متهماً عند الناس بالتصوف، مستغرَباً حاله عندهم مستهجناً، والعجيب أنا لا نكاد نرى ـ حتى بين الصالحين ـ من يديم الذكر ويتعلق به كما أمرنا ربنا جل جلاله ورسوله ﷺ وهذا كله من تلبيس إبليس وإضاعته على الناس هذا الأجر العظيم، وإلا فما هناك تلازم بين التصوف والذكر إلا ما سبق أن صورته.

ولنتنزل جدلاً ولنفترض أن هناك علاقة ما تربط بين التصوف والذكر، أفلا يحسن بنا أن نأخذ أجمل وأفضل ما عند الصوفية ـ وهو الذكر ـ ولا نتركه بحجة تلبس أولئك به، ألسنا مأمورين أن نأخذ أفضل ما عند الناس حتى لو كانوا كافرين؟ وهؤلاء مسلمون خالطتهم بعض البدع وتلبسوا بها حتى صاروا يعرفون بها، لكن ليس من جملتها مطلق الذكر واستدامته إلا ما خالطه من هيئة أو اجتماع، فلا ضرر إن استفدنا منهم في هذا الباب، والله أعلم.

إذاً علينا أن نتدارك قسوة قلبنا باستدامة الذكر، ولْنُدِرَّ عواطفنا الإيمانية بالتعلق بالمذكور ـ جل جلاله وتقدست أسماؤه ـ لعله أن يمن علينا في الدنيا بأن يجعلنا رقيقين بكّائين، وبالآخرة بأن يجعلنا سادة ورثة جنة النعيم.

٢ ـ إنكار الأوراد:

إن مما اعتنت به الصوفية كثيراً الورد اليومي، وهذا الاعتناء الصوفيّ به أدى بجموع كثيرة من الصالحين إلى الريب والتشوش،

والإعراض عنه، واعتقاد أنه بدعة، وذلك من منطلق أن كل ما أتت به الصوفية فهو بدعة.

وهذا شيء قد سبق الحديث عنه لكن أقول: إن الوارد في لغة العرب هو النصيب والجزء، وصار يطلق في الإسلام على النصيب من القرآن والذكر، أو على الجزء من الليل الذي يجعله المرء على نفسه ليصليه، وذلك كل يوم[١]، فليس في ذلك بأس، والنبي ﷺ كان قد أوصى بقراءة بعض الأذكار على هيئة ورد منتظم كل يوم وشجع على هذا فقد قال رسول الله ﷺ:

«من قال لا إله إلا الله وحدهُ لا شَريك له، لهُ الملك، وله الحمدُ، وهو على كل شيء قَدير، في كل يومٍ مئةَ مرَّة كانت له عَدْلَ عَشرِ رِقاب، وكُتبَت له مئةُ حسَنة، ومُحِيَت عنده مئة سيِّئة، وكانت له حِرزاً منَ الشيطان يومَهُ ذلك حتى يُمسيَ، ولم يَأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء به إلا رجلٌ عملَ أكثر منه»[٢].

وهذا فيه دلالة واضحة على أهمية الورد، والمحافظة اليومية عليه.

وقال ﷺ: «من قال سُبحانَ الله وبحمدهِ في اليوم مئةَ مرَّة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبَدِ البحر»[٣].

وكذلك ورد عن رسولِ الله ﷺ في شأن التوبة والاستغفار قوله: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»[٤].

---

(١) انظر «المعجم الوسيط»: ورد.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات: باب فضل التهليل.

(٣) المصدر السابق: باب فضل التسبيح.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، ومعنى يغان: يغشى.

وقال ﷺ:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى الله فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِئَةَ مَرَّةٍ»[١].

فهذه الروايات دالة على مشروعية الورد وفضله، لكنه لما ارتبط بالتصوف ـ كما سبق أن ذكرت ـ نفر منه أكثر الصالحين جهلاً بفضله ومشروعيته وتسرعاً، ونتج عن ذلك ضعف واضح في الالتزام بالذكر والتوبة الدائمة، ثم قست القلوب التي لم تعد تفزع إلى التوبة والاستغفار والذكر إلا لِماماً، وإذا قست القلوب اضمحلت العاطفة الإيمانية أيما اضمحلال.

هذا وقد كان للسلف ومن بعدهم أوراد يحافظون عليها ولم يتهمهم أحد من أجلها ببدعة، فهذا ابن سيرين[٢] كان له سبعة أوراد، فإذا فاته شيء من الليل قرأه بالنهار[٣].

وهذا الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم المكيّ أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزَّنْجانيّ[٤] لما عزم على المجاورة عزم على نيِّف وعشرين عزيمة أن يلزمها نفسه من المجاهدات والعبادات، فبقي بمكة أربعين سنة لم يُخِلَّ بعزيمة منها[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) إمام من أئمة التابعين، محمد بن سيرين البصري مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ. توفي سنة ١١٠ رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٤/ ٦٠٦ ـ ٦٢٢.

(٣) «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٥٧٠.

(٤) توفي سنة ٤٧١ وله تسعون سنة رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٨/ ٣٨٥ ـ ٣٨٩.

(٥) «نزهة الفضلاء»: ٣/ ١٤٢٤.

الله أكبر!! ونحن اليوم نجاهد من أجل أن نصلي الوتر أو نصلي الفجر أو نصوم ثلاثة أيام من كل شهر!! بهذا ارتفع أولئك العظام وصار لهم في التاريخ أعظم المكانة والأثر.

ومسألة الأوراد عند السلف أشهر من أن يُبرهن عليها بنقل أو نقلين لكني أحببت ألا أخلي هذه المسألة من سيرتهم العطرة، رضي الله عنهم، وبلّغنا أعمالهم ومنازلهم.

٣ ـ إنكار كثرة التعبد:

يظن بعض من ليس له اطلاع واسع على حال السلف رضي الله عنهم أن كثرة التعبد بدعة، ويربط ذلك بالصوفية على وجه متعسف لا يقبل أبداً، وذلك ـ والله أعلم ـ لأن الصوفية كانوا حاملي عَلَم التعبد الطويل في القرون المتأخرة، حيث إنهم كانوا هم أكثر العباد والزهاد ـ كما بينت من قبل ـ فارتبط في أذهان بعض الناس كثرة التعبد بالتصوف، وليس بينهما ارتباط متسلسل؛ بمعنى أنه ليس بالضرورة أن يكون الصوفي كثير التعبد، أو يكون من هو كثير التعبد صوفياً، لكن هذا ما قُدر وكان.

هذا وقد تجنب بعض الصالحين في زماننا هذا كثرة التعبد بدعوى أن القصد هو طريق الإسلام، نعم إن القصد مطلوب لكن إذا خيف على النفس الملل والانقطاع، لكن إذا كانت النفس نشيطة منطلقة فما معنى القصد هنا؟

والصدر الأول من الأمة ـ خاصة سيدهم ﷺ ـ كانوا كثيري التعبد؛ فهذا النبي ﷺ يقوم الليل حتى تنفطر قدماه ـ أي تتشقق ـ ويصوم في الأيام الحارة صياماً متواصلاً، وكان ﷺ يواصل صائماً يومين.

وعلى كثرة التعبد جرى السلف رضوان الله عليهم من صحابة وتابعين وتابعيهم؛ فهذا سهيل بن عمرو[١] الصحابي المشهور رضي الله عنه كان «كثير الصوم والصيام والصدقة. . . ويقال: إنه صام وتهجد حتى شحب لونه وتغير»[٢].

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا ينام من الليل إلا قليلاً لتهجده فيه، وكان يكثر من قراءة القرآن رضي الله عنه[٣].

وهذا شيخ الإسلام ابن أبي ذئب[٤] كان يصلي الليل أجمع ويجتهد في العبادة حتى إنه لو قيل له : إن القيامة تقوم غداً ما كان فيه مزيد من الاجتهاد[٥].

وأختم بالإمام الحجة القدوة زين العابدين هنّاد بن السَّريّ الدارميّ الكوفيّ[٦] الذي حكى حالَه أحدُ تلاميذه من الأئمة الحفاظ فقال:

«فرغ يوماً من القراءة لنا فتوضأ وجاء إلى المسجد فصلى حتى الزوال وأنا معه في المسجد، ثم رجع إلى منزله فتوضأ وجاء فصلى بنا الظهر، وأخذ يقرأ في المصحف حتى صلى المغرب، فقلت لبعض

---

(١) استشهد يوم اليرموك. انظر سيرته في «سير أعلام النبلاء»: ١/ ١٩٤ ـ ١٩٥.
(٢) «نزهة الفضلاء»: ١/ ١٤٦ ـ ١٤٧.
(٣) المصدر السابق: ١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨.
(٤) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة القرشيّ العامريّ المدنيّ الفقيه. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٥٩. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٧/ ١٣٩ ـ ١٤٩.
(٥) «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٦٨٥.
(٦) ولد سنة ١٥٢ وتوفي سنة ٢٤٣ رحمه الله تعالى. انظر سيرته في «سير أعلام النبلاء»: ١١/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦.

جيرانه: ما أصبره على العبادة! فقال: هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة فكيف لو رأيت عبادته بالليل»(١).

هكذا كانوا في كثرة تعبدهم رضي الله عنهم، ولم يلمهم أحد، ولم يتهمهم أحد ببدعة من جرّاء هذا، حاشاهم رضي الله عنهم، فقصارى جهدنا اليوم أن نتبع آثارهم، ونتمسك بما تمسكوا به، ونكثر ـ ما استطعنا ـ من التعبد حتى نلقى الله تعالى وهو عنا راضٍ إن شاء سبحانه.

٤ ـ إنكار الكرامات أو استبعادها:

للصوفية اعتناء خاصٌّ بالكرامات وروايتها وإشاعتها بين الناس، وهذا لأجل ترقيق قلوب أتباعهم وتعميق الإيمان واليقين فيها، وبعض من له غايات دنيوية منهم ـ والعياذ بالله تعالى ـ يسعى بإشاعتها للحصول على مكاسب دنيوية وجمع الناس حوله، وبناء جاه مرموق يمكّنه من الدخول على الوجهاء والكبراء وذوي الشأن من الناس، أقول بعضهم حتى أكون من المنصفين.

ونشأت طبقة من مثقفي الناس ودعاتهم ينفرون من هذا الأمر لتلبس الصوفية به، ويعدونه بعيداً كل البعد فلا يصدقونه؛ وذلك لاستيلاء المنهج العقلي على قلوبهم وأذهانهم. ومنهج أهل السنة والجماعة قبول الكرامة وتصديقها إذا ظهرت مما هو أهل لها، ومَن عُرف بالتقوى والصلاح، وكما قيل:

«لو نظرتم إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير فلا تغتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي، وحفظ حدود الشرع»(٢).

---

(١) «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٩٥٩ ـ ٩٦٠.

(٢) «نزهة الفضلاء»: ٣/ ١٠٥٥.

ومن مذهبهم ـ أيضاً ـ أن كل ما كان معجزة لنبي صح أن يكون كرامة لولي، وبعض أهل السنة يذهب إلى أن الكرامة لا تصل إلى أن تساوي معجزات الأنبياء؛ لأن ذلك يؤدي إلى الخلط بين الكرامة والمعجزة(١).

هذا وليس من غرض هذا البحث التوسع في هذا الأمر، لكن المراد توضيح أن إنكار الكرامات وعدم تصديقها نشأ من اجتماع أسباب متعددة منها توسع الصوفية في هذا الباب، وإتيانهم بالمحالات العقلية والمنطقية، فهذا كتاب «جامع كرامات الأولياء»(٢) قد سرد بعض الكرامات التي يندى لها جبين الخلق والفضيلة، وكذلك كتابا «الطبقات الكبرى»و«الطبقات الصغرى»(٣) فيه من الأمور العجيبة والغريبة ما يستبعده كل عاقل، لكن مع كل هذا لا ينبغي للعاقل أن يضرب صفحاً عن قضية الكرامات وأن يستبعدها وينكرها.

هذا وقد أنكر طائفة من الصالحين أو استبعدوا ما تناقله الناس عن كرامات المجاهدين الأفغان، مع أن عدداً كبيراً منها قد رواه الثقات الصالحون وبعضه قد نقل بالتواتر، هذا وقد روى السلف كرامات أعظم منها وأجل في مصنفاتهم فلم ينكر عليهم ذلك أحد فيما أعلم، فلم الإنكار اليوم والاستبعاد والاستغراب؟!

إنما نشأ هذا من أجل ما قدّمته من توسع الصوفية في هذا الباب والله تعالى أعلم، فلا ينبغي إذاً هجر رواية الكرامات وتناقلها وذلك

---

(١) راجع كتاب «النبوات» لشيخ الإسلام ابن تيمية ففيه تفصيل واف لهذه المسألة.

(٢) وهو للشيخ تقي الدين النبهانيّ، رحمه الله تعالى.

(٣) وكلاهما للشيخ عبد الوهاب الشعرانيّ، رحمه الله تعالى.

لما لها من أثر عظيم في ترسيخ الإيمان واليقين، والسموّ بالعاطفة الإيمانية سمواً سامقاً، ولما لها من أثر واضح في التسابق على فعل الخير والرضا به، والله أعلم.

٥ ـ التوكل والتواكل:

قضية التوكل قضية إيمانية من أعظم قضايا الإيمان والرقائق، ومحسن هذه القضية محسنٌ لشيء عظيم جليل.

والصوفية أفرطوا في هذه المسألة حتى قادهم ذلك الإفراط إلى التواكل المطلق، وأصبح المجتمع المصطبغ بصبغة التصوف أشبهَ بمجتمع الأموات منه إلى الأحياء خاصة في القرون الأربعة الأخيرة، حيث غزا الاستعمار البلاد الإسلامية فوجدها غارقة في التواكل غرقاً سهّل عليهم اجتياح البلاد والعباد، نعم إن بعض الطرق الصوفية كان لها الفضل في حماية الإسلام في بعض مناطق إفريقية وآسية الوسطى، لكني أتكلم عن الأغلبية والأكثرية.

ولما دخل نابليون إلى مصر اجتمع العلماء في القاهرة لقراءة البخاري في ظاهرة غير مسبوقة بعمل السلف الصالح رضي الله عنهم ولا مؤيدة بدليل صحيح أو منطق قويم(١) وأصبحت شعارات مثل: «أقام العباد فيما أراد»، «لا تعترض فتنطرد»، شعارات تؤدي إلى التواكل، وهي شعارات صحيحة إذ من اعترض على الله كفر والعياذ بالله، وقد «أقام العباد فيما أراد» حقاً؛ إذ لا يتحرك كائن من الكائنات حركة ولا يسكن إلا بإذنه جل جلاله، هذه شعارات صحيحة لكن قد طبقت تطبيقاً خاطئاً.

---

(١) انظر مختصر «مظهر التقديس في زوال دولة الفرنسيس»: ٦٩.

فلما حصل للناس ما حصل من ردة فعل تجاه التصوف نبذوا قضية التوكل نبذاً غريباً وعاملوها كأنما هي التواكل، وحل محلها التكالب الغريب على الدنيا والإخلاد إليها حتى مِن قِبَل عدد كبير من الصالحين، وأصبح أكثرهم متخوفاً من الأقدار، سريع التأثر بما يجري عليه من أقدار البلاء، سرعان ما يحبط لأقل العوارض التي تصيبه، شديد الفرح بما يأتيه من أقدار الرخاء والخير، وإذا أمر بالتوكل على الله قال: «إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة» مبرراً بذلك تكالبه وإخلاده إلى الأرض وانجذابه إلى شهواته ومراده، ونسي قول النبي ﷺ: «لو أنكم كنتم توكّلون على الله حق توكله لرزقتم كما تُرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً»(١).

وليس هذا معرض الحديث عن التوكل لكنه بيان لمدى تأثر الناس وحساسيتهم؛ لما كان عليه أسلافهم من التواكل والدروشة والتضييع لمعاني التوكل الحقيقية.

ولم يصب المجتمع ـ في تقديري والله أعلم ـ إصابة في أخلاقه وعباداته القلبية بعد الشرك والرياء أعظم من تضييع حقيقة التوكل الصافي؛ التي يمتاز بها دين الإسلام العظيم عن غيره من الأديان والمذاهب.

تلك كانت جوانب من الرقائق التي ارتبطت تاريخياً في ذهن الناس بالطرق الصوفية، وأدى ابتعاد الناس عن مزاولتها إلى قسوة ملحوظة في القلوب، وجفاف ظاهر في العيون، وعاطفة جامدة متحجرة عند أكثر الدعاة وطلبة العلم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) أي تذهب في الصباح جائعة وترجع آخر النهار ممتلئة مما طعمته، والحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه: كتاب الزهد: باب ما جاء في الزهادة في الدنيا.

ومن الواجب على جيل الصحوة اليوم أن يعود إلى الأخذ بهذه المرققات، غير آبه بمن أخذ بها من المبتدعة أو الضلال ما دام فيها حياة للقلوب وتقوية للعاطفة الإيمانية، وليس فيها مخالفة للشرع المطهر، والله تعالى أعلم.

ولعل الذي يجمل ما ذكرته من الجوانب سابقاً هو قول بعض طلبة العلم الذي تحدث عن هذه المسألة قائلاً:

«قد وصل الحال ببعض اليابسين أن أصبحت نظرتهم إلى مَن يكتب في الرقائق وتصفية النفوس أو يتكلم فيها نظرة شك وريبة، وربما اتهام بالصوفية والابتداع.

ومن غرائب أهل هذا المسلك أن بعضهم نفى بعض كتب الرقائق عن أصحابها مثل كتاب «مدارج السالكين»[١].

وسمعت أن بعضهم وسم شيخاً فاضلاً بالصوفية، وعندما طُلب منهم البرهان على ذلك ذكروا أنهم لاحظوا كثرة بقائه في المسجد، وإكثاره من الذكر بعد الصلاة، وإطالة الدعاء، وأنه يزيد في الصلاة النافلة:

إذا محاسني اللاتي أُدِلُّ بها
كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر»[٢]

---

(١) وهو كتاب للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى شرح فيه كتاب «منازل السائرين» لشيخ الإسلام الهرويّ الأنصاريّ، وقد حشد فيه ابن القيم مصطلحات كثيرة للصوفية، وتكلم فيه كلاماً طويلاً عن أحوالهم، وأدى هذا الصنيع من ابن القيم إلى أن ينفر من الكتاب طوائف من طلبة العلم وينكرون نسبته لابن القيم، مع أن نسبته إليه أوضح من الشمس في رائعة النهار، والله تعالى أعلم.

(٢) «زغل الدعاة»: ١٠٣ ـ ١٠٤.

الصارف الثاني
التعمق في قضايا الخلاف الفقهي

تأجُّج الخلاف الفقهيّ سمة هذا العصر الذي كثر فيه المفتون، وانتشرت فيه كتب الفروع، وأصبح الناس متعلقين أشد التعلق بالحديث عن الرخص والعزائم، وعما قال فلان أو فلان، ومَن هو المحق ومن هو المبطل، وانتشر كل ذلك في الفضائيات والإذاعات المسموعة والمرئية، وخاضت وسائل الإعلام في هذا خوضاً عجيباً مريباً.

وليس من غرض هذا البحث أن يتناول جوانب هذه المسألة بالبحث والتنقيب؛ إذ لهذا مكان آخر، لكني أقول: إن البحث عن الحق هو مراد المنصفين، فإذا تحول هذا البحث إلى جدال عميق متطاول فإنه يصبح مرضاً اجتماعياً يصعب علاجه، هل سمعنا في عصورنا السالفة المضيئة عصر الصحابة الكرام والتابعين العظام مثل هذا الجدال العقيم، إنهم قد استبدلوا به الجد والاجتهاد، والتقرب إلى الله بأنواع الفرائض والنوافل وعلى رأسها الجهاد.

وليس غريباً أن يكون زمن الصحابة والتابعين إذاً زمان التألق الإيمانيّ، والارتقاء بالنفس إلى غاية السموّ والتهذيب والرفعة، وأن يكون عصرنا عصر القسوة في القلوب والجمود في العيون، والبعد عن معالي الأمور، والتقرب إلى سفسافها ودناياها كما هو شأن عصور الانحطاط في القرون الأربعة الأخيرة.

إن الخلاف الفقهيّ كان موجوداً منذ عصور الإسلام الأولى، وسيظل موجوداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فعلينا أن نتعامل

معه التعامل الذي ينبغي من كل مسلم عاقل يعرف أن الشطط في هذه المسألة ليس علامة خير ولا دليل صحة بل هو يغرق الأمة في أوحال مستنقعات الخلاف العقيم، وليتمسك كل امرؤ بما يراه الحق أو بما يُفتى له أنه الحق، ولْيُقِلَّ من الأسئلة والتنقل بين المفتين، وليكثر من العمل الصالح الذي هو سبيل لاجتماع القلوب وشيوع الصفاء وسلامة الصدر بين الناس، فإذا صنع الناس هذا فإنه يرجى لهم أن تسمو عواطفهم الإيمانية إلى المحلّ الذي يحبه لهم الله ورسوله ﷺ ويقلّ بينهم الخلاف ويسمو فيهم الإخاء، والله تعالى أعلم.

الصارف الثالث
البيئة والفطرة

من حكمة الله تعالى وقدره أن يجعل لكل بيئة صفات مخصوصة، ولتلك الصفات أثرها على أهلها، فالبيئة الصحراوية تورث أهلها قوة وجفوة وقسوة، والبيئة الجبلية تورث أهلها شجاعة وقوة وصَلَفاً، والبيئة الفسيحة السهلة تورث أهلها سماحة ويسراً وهكذا...

هذا بالنظر إلى البيئات، أما الأفراد فإن بعضهم قد فطره الله تعالى على عاطفة جياشة واندفاع قويّ لا يقوم له شيء، وبعضهم قد خُلق خامل العاطفة لا يكاد يتأثر بشيء ولا ينفعل لأي حدث، وبعضٌ ثالثٌ متوسط في هذا الأمر، ومثل هذا التفاوت القائم في الخُلق بين الأفراد قائم كذلك في المجتمعات والشعوب، فبعض الشعوب أصحاب عواطف قوية، وبعضها أصحاب عواطف خاملة، وبعضها متوسط.

وفي الأحاديث النبوية ما يؤيد هذا، فقد قال ﷺ:

«أتاكم أهلُ اليمنِ، أرقُّ أفئدةً وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يَمانية»(١).

وتبعاً لهذا فإن بعض الشعوب والأقوام أرقّ من البعض الآخر، وعاطفته أقوى، واستجابتهم أقرب من استجابة غيرهم للمواعظ والرقائق.

وهذه مسألة معروفة لكني أردت أن أبيّن أن على الدعاة أن يعرفوا بيئاتهم التي يعيشون فيها، ويحسنوا التعامل مع الناس بموجب هذا، ويتنوع خطابهم معهم بحسب الحاجة، وبحسب قربهم أو بعدهم من العاطفة الإيمانية القوية المطلوبة، والله تعالى أعلم.

الصارف الرابع
عجلة الحياة اليومية

إن دوران عجلة الحياة اليومية بأهلها، وانشغال الناس الدائب الدائم بالجري وراء متطلباتهم واللهاث للوصول إليها، والتعقيد الذي أصاب أسباب الحياة كل ذلك أدى إلى نوع قسوة يجدها كثير من الناس في قلوبهم؛ ولئن كان هذا صحيحاً في شأن عامة الناس فإنه في شأن الدعاة العاملين أكثر اتضاحاً والتصاقاً؛ إذ أنهم يجمعون إلى جانب تلك المشاغل السالفة الذكر هموماً متعددة، ولا يكادون يجدون مع ذلك كله الوقت الكافي للالتفات إلى قضية تنمية العاطفة الإيمانية والرقي بها.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب المغازي: باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

هذا وليُعلم أن إهمال هذه المسألة المهمة يعود على الدعاة بعواقب قد تكون وخيمة، إذ يجدون بعد مدة ـ قد تطول أو تقصر ـ أن قلوبهم أصبحت قاسية، وأنهم يؤدون واجباتهم العبادية والدعوية بآلية رتيبة ليس فيها حياة أو روح كما فصلته في المقدمة والتمهيد، فلا بد إذاً من الخلوة بالنفس حيناً بعد حين، ومراجعة هذه القضية، والحرص على الأخذ بالأسباب التي ترتقي بالعاطفة الإيمانية.

وليعلم الأخ الداعية أن بريق هذه العاطفة في عينيه، وقوتها في كلامه، وعزمته الماضية في إقدامه أجدى له من عشرات الحركات الأخرى التي تخلو من العاطفة الإيمانية القوية، والتي تجعل دعوته رتيبة ليس فيها الروح المؤثرة، ولا الجذب الإيمان القوي، ولا الحرارة الصادقة التي تفعل بالمقابل الأفاعيل، وتجعله يقتنع بقلبه وعقله معاً.

أمور تتجاذب العاطفة وتنازعها

هناك أمور تتجاذب العاطفة، وقد تنازعها في بعض الأحيان، وقد يظن المرء أن الأخذ بها مغنٍ عن إعمال عاطفته واستثارتها، فمن ذلك:

أ ـ العاطفة والعقل:

ليس التركيز على العاطفة الإيمانية القوية معناه إهمال الجانب العقليّ من حياة الإنسان وتهميشه، بل المطلوب هو مراعاة الجانب العقليّ فيما يجب أو ينبغي إعمال العقل فيه، وفي الوقت نفسه ينبغي السمو بالعاطفة الإيمانية بالدرجة التي تجعل المرء يحسن الاستجابة لله ورسوله، ويضحي بالغالي والنفيس في سبيل دينه وإعلاء رايته وكلمته.

والمرء ـ في هذه الحياة المعاصرة ـ لا بد له أن يسير بجناحي العقل والعاطفة، فإذا اقتضى الأمر تغليب جانب العقل غَلّبه، وإذا اقتضى الأمر إسباغ العاطفة ومدَّ ذيلها فعل ذلك وسمح لعاطفته أن تستولي على عقله وقلبه.

بهذا يستقيم الأمر للمرء، ولا يشعر بتناقض أو قصور أو إحباط أو ملل.

قال الإمام البنا: «ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف»[1].

---

(١) «مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا»: ١٢٧.

والعاطفة إذاً تحتاج إلى عقل راجح حتى يضبطها وإلا طغت وجرّت صاحبها إلى ما لا يحمد عقباه، فكم من مواقف وقفها صاحب العاطفة الغالبة ولم يحكِّم فيها عقله ندم عليها أشد الندم بعد ذلك، فالعقل إذاً لجام للعاطفة، والعاطفة مسرح للعقل ومخففة من غُلَوائه وسطوته.

وبهذا يُعلم خطأ من سار في هذه الحياة بمنهج عقليٍّ صرف حتى صار كأنه قالب جامد، لا يتأثر بشيء ولا يلتفت لشيء، وخطأ من سار كذلك بمنهج عاطفي صرف لا يقيم فيه للعقل وزناً ولا يلتفت إلى ما يأمره به من خير ورشد، والمنهج الوسط هو ما ذكرت آنفاً، وهو ما سار عليه القرآن العظيم في إرشاده وهدايته، وأخذ الناس بما يصلحهم في حياتهم ومماتهم.

يقول الأستاذ عبد اللطيف السبكي[١] في هذا:

«ترى القرآن في تبليغ دعوته يناجي العقول، ويفتح أمامها مجال البحث مع الروية، ويحضها على التأمل وحسن النظر. . . وترى القرآن كذلك يناجي العاطفة، ويثير فيها الحنو، ويستنهضها إلى الاستجابة، ويعتمد عليها في مؤازرة العقل؛ إذِ العقل وحده لا يسهل دائماً قياده، فقد يجمد إلى التقليد، أو يجنح إلى العصبية، أو تغمره الجهالة، أو يحيط به كل ذلك حتى ينحاز إلى غير ما يلائمه ويظل متخلفاً، وحينئذٍ تكون العاطفة عوناً على إقناعه ووسيلة إلى استمالته واجتذابه.

كما أن العاطفة وحدها قد لا تتماسك، بل تلين وترق حتى تتأثر بكل ما يعرض لها دون روية أو موازنة بين ضار ونافع، وقد تتحجر

(١) لم أقف له على ترجمة.

العاطفة التي لم يسعفها تهذيب أو لم يصادفها توجيه، فيكون للعقل موقفه من الرشد والترجيح والاختيار واجتذاب العاطفة نحوه. . .

فالعقل والعاطفة نافذتان يدخل منهما نور الهداية ويستقر في الوعي، وينقاد المرء لما يتجهان إليه ويبصرانه به وفي تكافلهما ـ لا شك ـ حفاظ من الزلل، وفي مناجاتهما توفير لأسباب الرشد، وحيطة في التوجيه وفي حسن التربية»[١].

وقال أحد الأساتذة:

«إن منهج القرآن في الدعوة إلى الله يقوم على أساسين رئيسيين، وهما:

أ ـ الجدل المنطقي والبرهان الدقيق.

ب ـ الوعظ البليغ المؤثر بالوعد والوعيد، وتفصيل أنواع الثواب والعقاب فيما وراء هذه الحياة الزائلة بأسلوب رائع بلغ حد الإعجاز في الجمال والبلاغة. . .

هذا المنهج الحكيم كما عُني بالعقل اعتنى أيضاً بالعواطف فذهب يقنع العقول السليمة بالحجة والبرهان، وراح يهز المشاعر ويستهوي العواطف بسحر البيان وأساليب الترغيب والترهيب بالحق. . »[٢].

بهذا يُعلم أنه ليس هناك تناقض بين حكم العقل وحكم العاطفة، بل يحصل تنازع وتجاذب بينهما أحياناً، فإن صح منهج المرء استقام له تقديم أحدهما أو الجمع بينهما على سبيل سويّ، والله الموفق.

---

(١) مجلة «الأزهر»: المجلد ٢٧، الجزء الأول، المحرم سنة ١٣٧٥: ص٦ـ٧.

(٢) المصدر السابق: المجلد ٢٠، الجزء٤: ص ٣٧٤.

ب ـ العاطفة والطاعة:

ليست الطاعة ـ على أهميتها وعظم شأنها وخطرها ـ مغنية عن العاطفة، وليست العاطفة بمغنية عن الطاعة كذلك، بل العاطفة هي المظهر الجميل للطاعة، كالبستان الجميل الرائع الذي يأخذ بالألباب والقلوب، فثمار البستان وزرعه وإنتاجه يقابل الطاعة، وجماله وبهاؤه وسناؤه وحسن منظره يقابل العاطفة، فما أحسن حال المطيع ذي العاطفة القوية، وما أقبح شأن أصحاب العاطفة القوية لكنهم يتساهلون في اتباع الأوامر واجتناب النواهي.

وهناك مثال واضح على الخلط بين قضية العاطفة والطاعة المطلقة؛ ألا وهو قضية محبة النبي ﷺ فقد شاع في أوساط كثير من طلبة العلم أن حب النبي ﷺ هو اتباعه وطاعته، بينما حقيقة حب النبي ﷺ هي اتباعه وطاعته مع إظهار عاطفة قوية تجاهه؛ فقد كان السلف رضي الله عنهم يظهرون من العاطفة حيال النبي ﷺ الشيء الكثير؛ فقد كانوا يبكون إذا ذكروه، ويشتد شوقهم إليه ﷺ ويفدونه بآبائهم وأمهاتهم، وهم مع كل ذلك شديدو الاتباع للنبي ﷺ ويقدّمون سنته على كل محبوباتهم ومشتهياتهم.

وهذه الصورة التي كانوا عليها هي صورة المحبة الحقيقية للنبي ﷺ، أما أن يزعم زاعمٌ أنه يحبه ـ ويريد بحبه الاتباع لسنته ـ ثم هو جافٍ غليظ، لا يكاد يتأثر إذا ذكر النبي ﷺ ولا يظهر من الشوق إليه ما ينبغي له أن يظهره، ولا يكثر من ذكره والصلاة عليه ﷺ فهل هذا محب، وهل هذه محبة؟ إنه إذا كان لرجل خادم أو سائق ينفذ له كل ما يأمره به لكن لا يظهر نحوه ميلاً ولا عاطفة؛ فإن المخدوم سيتذمر

بلا شك وسيشعر أن خادمه هذا أو سائقه يعاديه أو لا يحبه، وهذا المثال ينطبق على ما ذكرته آنفاً من حالنا حيال النبي ﷺ، فالشوق والعاطفة القوية مع الاتباع الكامل هما مظهر المحبة الصحيحة.

هذا عمر رضي الله عنه يقدم الشام فيؤذن بلال رضي الله عنه فيذكر الناس النبي ﷺ، فلم يُر الناس في يوم أكثر بكاءً منهم في ذلك اليوم(١).

وقال محمد بن سيرين لعَبِيدة بن عمرو السلماني(٢): إن عندنا من شعر النبي ﷺ شيئاً من قِبَلِ أنس بن مالك، رضي الله عنه.

فقال: لأن يكون عندي منه شعرة أحب إليّ من كل صفراء وبيضاء على ظهر الأرض.

فقال الإمام الذهبي(٣) معلقاً: هذا القول من عَبِيدة هو معيار كمال الحب، وهو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس.

وهذا الإمام مالك رحمه الله تعالى يقول:

«رأيت أيوب السختياني(٤) بمكة حجتين، فما كتبت عنه، ورأيته في

---

(١) «نزهة الفضلاء»: ١/ ١٧٦.

(٢) أسلم عام فتح مكة بأرض اليمن لكن ليس له صحبة. وكان أحد أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه الذين يفتون ويُقرئون. توفي سنة ٧٢رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٤/ ٤٠-٤٤.

(٣) محمد بن أحمد بن عثمان، إمام الحديث في عصره. توفي سنة ٧٤٨ بدمشق رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى»: ٩/ ١٠٠- ١٢٣.

(٤) «أيوب بن أبي تميمة كَيْسان السَّختيانيّ، أبو بكر البصري. ثقة ثبت حجة، من كبار الفقهاء العباد. مات سنة ١٣١ رحمه الله تعالى وله خمس وستون سنة. انظر «التقريب»: ١١٧.

الثالثة قاعداً في فناء زمزم، فكان إذا ذُكر النبي ﷺ عنده يبكي حتى أرحمه، فلما رأيت ذلك كتبت عنه»(١).

هذه بعض أحوال السلف مع نبيهم الأعظم ﷺ فهل هذا الذي نراه اليوم بين الدعاة والصالحين وطلبة العلم هو محبة صحيحة أو عاطفة صادقة؟ كلا والله حتى يجتمع الاتباع له ﷺ مع كمال إظهار العاطفة تجاهه بأبي هو وأمي ﷺ، والله تعالى أعلم.

(١) «صفحات في أدب الرأي»: ٥٤، ونقله المصنف عن مقدمة «إسعاف المبطّأ» للإمام السيوطي رحمه الله تعالى.

خاتمة

بعد هذا العرض الموجز لقضايا العاطفة الإيمانية بدا ظاهراً عظم قدرها، وأهمية وظيفتها في حياة طبقات متعددة من الأمة: الدعاة وطلبة العلم والصالحين، وأنهم لا غنى لهم عنها إن رغبوا في إصلاح أنفسهم وغيرهم، فيجب عليهم إذاً بذل الوسع واستفراغ الطاقة في تحصيلها بكل الوسائل الممكنة: تخطيطاً وتطبيقاً، وهذا أمر لا خيار لهم فيه ولا حيلة، فيجب عليهم نبذ كل الأعذار جانباً، والتشمير عن ساعد الجد في هذه القضية المهمة؛ لعلنا نصل إلى ما وصل إليه أسلافنا العظام رضي الله عنهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

رزقنا الله وإياكم هذه الدرجة العالية والمرتبة الراقية بفضله ومنه، آمين، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١ ـ «**الأركان الأربعة**»: أبو الحسن الندوي، نشر دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٤.

٢ ـ «**الأعلام**»: خير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠.

٣ ـ «**تربيتنا الروحية**»: الأستاذ سعيد حوى، نشر دار الكتب العربية، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩.

٤ ـ «**تقريب التهذيب**»: الحافظ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢)، تحقيق الأستاذ محمد عوامة، نشر دار الرشيد، حلب، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦.

٥ ـ «**تهذيب سيرة ابن هشام**»: الأستاذ عبد السلام هارون، نشر المؤسسة العربية الحديثة، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٦.

٦ ـ «**الجانب العاطفي في الإسلام**»: الشيخ محمد الغزالي، نشر دار القلم، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨.

٧ ـ «**حسن البنا: مواقف في الدعوة والتربية**»: الأستاذ عباس السيسي.

٨ ـ «**حسن البنا : الداعية الإمام والمجدد الشهيد**» : الأستاذ أنور الجندي، نشر دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ .

٩ ـ «**ذيل الأعلام**» : الأستاذ أحمد العلاونة، نشر دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ .

١٠ ـ «**الرقائق**» : الأستاذ محمد أحمد الراشد، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠١ .

١١ ـ «**روائع إقبال**» : أبو الحسن الندوي، نشر ندوة العلماء، لكهنو، الهند، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠١ .

١٢ ـ «**روحانية الداعية**» : الأستاذ عبد الله علوان، نشر دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ .

١٣ ـ «**زغل الدعاة**» : د. سعيد بن ناصر الغامدي، نشر دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦ .

١٤ ـ «**سير أعلام النبلاء**» : الإمام الذهبي = محمد بن أحمد (ت ٧٤٨)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الطبعة الأولى.

١٥ ـ «**الشيخ الغزالي كما عرفته**» : د. يوسف القرضاوي، نشر دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ .

١٦ ـ «**صحيح الإمام البخاري**» = محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦)، نشر دار الجيل، بيروت.

١٧ ـ «**صحيح الإمام مسلم بن الحجاج بشرح الإمام النووي الإمام مسلم**» : (ت ٢٧٦)، والإمام النووي (٦٧٦)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، نشر دار الخير، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ .

١٨ ـ «**صفحات من أدب الرأي**»: الأستاذ محمد عوامة، دار القبلة، جدة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢.

١٩ ـ «**طبقات الشافعية الكبرى**»: تاج الدين السبكي = عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١)، تحقيق د. عبد الفتاح الحلو، د. محمود الطنافسي رحمهما الله تعالى، نشر عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

٢٠ ـ «**عيون الأخبار**»: ابن قتيبة الدينوري = محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

٢١ ـ «**لسان العرب**»: ابن منظور الإفريقي = محمد بن مكرم، نشر دار صادر، بيروت.

٢٢ ـ «**مجلة الأزهر**»، القاهرة.

٢٣ ـ «**مجلة الرسالة**»، القاهرة.

٢٤ ـ «**مجلة المجتمع**»، الكويت.

٢٥ ـ «**مجلة الهداية الإسلامية**»، تونس.

٢٦ ـ «**مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**»: نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ١٤١٢.

٢٧ ـ «**معجم متن اللغة**»: العلامة أحمد رضا، نشر مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٣٧٩.

٢٨ ـ «**المعجم الوسيط**»: مجموعة من الأساتذة، نشر مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٢٩ ـ «**منهج شيخ الإسلام في العبادة والتزكية**»: عبد الله الحيالي، رسالة منشورة في مجلة الحكمة: العدد ١٩ سنة ١٤٢٠.

٣٠ ـ «**مواقف مضيئة في حياة الشيخ عبد العزيز بن باز**»: حمود عبد الله المطر، نشر دار طويق، الرياض ١٤٢٠.

٣١ ـ «**نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء**»: التهذيب لواضع هذه الرسالة، نشر دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الرابعة سنة ١٤١٩.